الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عباس لغرور –خنشلة-

كلية الآداب واللغات

قسم: اللغة والأدب العربي

تخصص: أدب حديث ومعاصر

صراع الحضارات
رواية "واحة الغروب" لبهاء طاهر -أنموذجا

بحث مقدم لقسم اللغة والأدب العربي لاستكمال مواد الماستر 2

من إعداد الطالبة:

* سهيلة قمعون

إشراف الدكتورة :

نسيمة بن عباس

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة الأصلية	الصفة
عبد الحميد ختالة	أستاذ محاضر (ب)	عباس لغرور- خنشلة -	رئيسا
نسيمة بن عباس	أستاذ محاضر (ب)	عباس لغرور- خنشلة -	مشرفا ومقررا
نبيل قواس	أستاذ مساعد (أ)	عباس لغرور- خنشلة -	عضوا مناقشا

السنة الجامعية 2016-2017

شكر وعرفان

الحمد لله الذي أنار لي
درب العلم والمعرفة و أعانني على أداء هذا
الواجب ووفقني في إنجاز هذا العمل
أتوجه بجزيل الشكر والامتنان إلى من ساعدني
و زرع فيا بذور العلم
أساتذتي الكرام بكلية الآداب قسم اللغة والأدب
العربي وخاصة أستاذتي المشرفة على عرض
هذا
"بن عباس نسيمة" حفظها الله ورعاها بما قدمت
لي من نصائح وإرشادات.
وإلى عمال مكتبة الآداب و كل من ساهم من
قريب أو بعيد في إنجاز هذا البحث و لو بكلمة
دعاء.

إهداء

أهدي ثمرة هذا العمل

إلى من قال فيها الرحمن "ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك إلي المصير"

سورة لقمان الآية 14

إلى أرق وأحن إنسانة على الكون إلى أمي الغالية أطال الله في عمرها

إلى من رباني ورعاني وعلمني؛ إلى من أنار قلبي بزينة الصدق والأخلاق

إلى من سافر بغير رجعة؛

إلى روح أبي الطاهرة أسكنه الله فسيح جنانه.

إلى من تركهم لي والدي سندا أثناء غيابه: إخوتي (علي، صباح، أحمد، حفيزة، عيسى، أميرة، فريال، شيماء)

إلى زوجي حليم حفظه الله لي ورعاه

إلى أبناء إخوتي وأبناء أخواتي

إلى صديقات العزيزات (زعيمة، حنان، دلال، نسمة، بريزة ونبيلة)

إلى أستاذتي الفاضلة (بن عباس نسيمة)

إلى كل الأساتذة والى كل طلبة تخصص أدب حديث ومعاصر دفعة 2016-2017

مقدمة

الحمد لله رب العالمين يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

لعل من أكثر التعابير والمصطلحات انتشارا وشيوعا في العقد الأخير من القرن العشرين مصطلح صراع الحضارات التي صدرها الغرب متناسيا أن الحضارة الإنسانية واحدة في تكوينها، على ما توصلت إليه الأمم والشعوب في مختلف مجالات الحياة، فمصطلح صراع الحضارات هو صورة التصارع والتحاور بين الثقافات نتيجة لتعددها.

لقد ألقت الفوارق بين المجتمعات الشرقية والغربية بظلالها على الذهنية الثقافية العربية وشكلت موردا خصبا لإنتاج الكتابة الروائية في الأدب العربي، التي تناولت في معظمها الصراع الذاتي للإنسان مع اختلاف تجاربه وعلاقته العاطفية مع الوطن الأم.

من بين هذه الروايات "واحة الغروب" لبهاء طاهر، منها تكون عنوان بحثي وهو "**صراع الحضارات رواية واحة الغروب أنموذجا**".

فما مدى صحة مقولة صراع الحضارات؟ وكيف نشأت؟ من المروج لها؟ وهل هناك حلول للحد من هذا الصراع؟ وهل استطاع بهاء طاهر أن يستفيد من تقنيات السرد بما يخدم موضوعه؟ وأن يقولب هذه التساؤلات في صورة فنية مكتملة؟

تبرز أهمية البحث في كونه يكشف حقيقة ما نحى إليه بعض المفكرين الغربين عن قضية الصراع وأن الشرق هو سبب هذا الصراع ومحاولة الروائيون العرب تجسيد هذا الصراع في رواياتهم، وكيف كان فهمهم للغرب وبنيته ككل.

يهدف البحث بوجه عام إلى التعرف على:

- مفهوم صراع الحضارات
- نشأة صراع الحضارات وتطوره.

مفهوم صراع الحضارات وعلاقته بالغرب كان موضوعا لعديد الروايات العربية، من الروائيين العرب تناولوا هذا الموضوع في رواياتهم أمثال: توفيق الحكيم في (عصفور من الشرق)، طيب صالح في (موسم الهجرة إلى الشمال)، سهيل إدريس في (الحي اللاتيني)

وغيرهم من الروائيين الذين تناولوا هذه القضية، لكن رواية واحة الغروب قامت بالتركيز على الصراع الحضاري ورصد تفرعاته على المستوى الشخصي والجمعي.

تضمنت خطة البحث مقدمة تناولنا فيها أهمية البحث وأسبابه ومدخلا: ألقينا فيه الضوء على مفهوم الصراع لغة واصطلاحا، مفهوم الحضارة لغة واصطلاحا، ثم مفهوم صراع الحضارات، نشأته، نظرية صراع الحضارات عند هنتغتون ومنطلقاتها.

الفصل الأول: تحت عنوان العلاقة بين الشرق والغرب وقسمناه إلى أربعة مباحث، المبحث الأول تناولنا فيه لمحة عن مصطلحي الشرق والغرب أو الأنا والآخر، المبحث الثاني تناولنا فيه طبيعة العلاقات التاريخية والثقافية بين الشرق والغرب، والمبحث الثالث تناولنا فيه رؤى الأنا والآخر في الرواية العربية، أما المبحث الرابع تناولنا فيه ضرورة الحوار بين الحضارات.

الفصل الثاني: تحت عنوان رواية واحة الغروب لبهاء طاهر وتشكلات الصراع فيها، قسمناه إلى مبحثين المبحث الأول تناولنا فيه دراسة لتقنيات الرواية؛ فقدمنا موضوعا للرواية ثم درسنا شخصيات وأحداث الرواية، المبحث الثاني تناولنا فيه الصراع في الرواية، وعددنا أنواعه من نفسي واجتماعي وسياسي وتاريخي وثقافي وأخيرا ديني.

ثم ختمنا بحثنا هذا بخاتمة تناولنا فيها أهم النتائج المتوصل إليها، واستعان البحث بقائمة المصادر والمراجع، وفهرسا للموضوعات.

واعتمدنا بالدرجة الأولى على رواية واحة الغروب لبهاء طاهر، ومراجع نذكر منها:

* صراع الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي لصموئيل هنتغتون، نحن والآخر لمحمد راتب، الاستشراق (المعرفة السلطة الإنشاء) لإدوارد سعيد، شرق وغرب رجولة وأنوثة دراسة في أزمة الجنس والحضارة العربية لجورج طرابيشي، وبعض الرسائل الجامعية نذكر منها:

الغرب في الرواية العربية الحديثة لجمال مباركي، كذلك بعض المواقع الإلكترونية.

اتبعنا في بحثنا هذا المنهج التكاملي لأننا رأيناه الأنسب لهذه الدراسة التي أخذنا فيها بكل من المنهج التاريخي لسرد الأحداث التاريخية، والمنهج البنيوي للدراسة الفنية، والمنهج المقارن الأنسب لرصد العلاقة بين الشرق والغرب.

مع الاستعانة بالأدوات اللازمة للاستقراء والتحليل لدراسة الاتجاهات وعرض جل النماذج بما يستدعيه من آليات منهجية تساعد في تحقيق الغاية الموضوعية والفنية وقراءتها ودراستها.

واجهتنا بعض الصعاب منها أن رواية واحة الغروب لبهاء طاهر رواية معاصرة،تقل المراجع التي تناولتها بالدراسة، بالإضافة إلى فقر المكتبة لأهم المراجع التي تساعدنا في بحثنا هذا، لكن بفضل الله تمكنا من إنهاء هذا البحث وكلنا رجاء منه تعالى أن يكون لهذه الدراسة على تواضعها،قيمتها بين مثيلاتها.

الشكر والامتنان في الأول والآخر لله تعالى الذي أمدنا بالقوة والفهم وحملنا بالصبر والمثابرة حتى نتمم عملنا هذا، وللمشرفة على هذا البحث الأستاذة والدكتورة "**بن عباس نسيمة**" من معاني العرفان والتقدير.

مدخل

مفهوم صراع الحضارات

نشأة صراع الحضارات

خصائص الحضارة العالمية

مفهوم صراع الحضارات

الصراع لغة

لا يستقيم فهمنا لمدلول الصراع إلا إذا عرفنا معنى اللفظ ومعنى المصطلح، جاء في لسان العرب: "الطرح بالأرض وخصه في التهذيب بالإنسان، صَارَعَهُ صَرْعًا، فهو مصروع وصريع، والجمع صرعى، والمصارعة والصراع معالجتهما أيهما يصرع صاحبه، والصرع علمة عروفة، والصريع المجنون، ومصارع القوم حيث قُتِلوا، وفي الحديث: الصُّرَعة (بضم الصاد وفتح الراء) مثل الهمزة، الرجل الحليم عند الغضب، وهو المبالغ في الصراع الذي لا يغلب".[1]

ويقال صرع الباب، جعله ذا مصراعين، وصرع البيت من الشعر جعله شطريه متفقين في التقفية؛ ويجيئ التصريع في الشعر على أن صاحبه مبتدئ، إنما قصة وإما قصيدة، يقول امرؤ القيس:

ألا عِمْ صَبَاحًا أيُّهَا الطَّلَلُ البَالي *** وَهل يَعِمنْ مَن كان في العُصُرِ الخَالِي[2]

ورد في القرآن الكريم مرة واحدة (صرعى)، يقول الله تعالى في كتابه الكريم: «فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى».[3]

وفي الحديث الشريف أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعجبه أن يشارك بالصراع، قال الأزهري: الصريع، القضيب يسقط من شجر البسام وجمعه صرعان، وفي العلاقة المجملة الصرعان هما الغداة والعشي.[4]

1- محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، دار الجيل، دار لسان العرب، بيروت، طبعة يوسف الخياط، المجلد 3، 1988، مادة صرع، ص 430.

2- إبراهيم أنيس ورفقاءه، المعجم الوسيط، مادة صرع، سنة 1972، ص 572.

3- سورة الحاقة، الآية 07.

4- ابن منظور، لسان العب، 199/8، مادة صرع.

وقد تحدد أيضا معناه في قاموس أكسفورد الحديث على شكل كفاح، صراع، نضال يكافح، يناضل، يصارع، يقاوم، يجاهد، يبذل جهده.[1]

الصراع اصطلاحا

أما الصراع على المستوى الاصطلاحي فهو "نشاط دافعين في آن واحد يتطلبان ضروبا متعارضة من السلوك وقد يكون الصراع إما بين رغبتين أو بين هدفين أو بين وسيلتين للوصول إلى هدف".[2]

ويعرفه **جميل صليبا** في معجمه الفلسفي "...هو في الأصل نزاع بين شخصين يحاول كل منهما أن يتغلب على الآخر بقوته البدنية، كالصراع بين الأبطال الرياضيين، أو التكنولوجية كالصراع بين الدول في الحرب.

ويطلق الصراع مجازا على النزاع بين قوتين معنويتين تحاول كل منهما أن تحل محل الأخرى كالصراع بين رغبتين أو فرعين أو مبدأين، أو هدفين، أو صراع بين القوانين في القانون، أو الصراع بين الحرب والواجب في الفلسفة، أو الصراع بين الشعور أو اللاشعور في ظاهرة الكبت في علم النفس".[3]

أما عند **ريموند آرون** (Raymond Aron) يرى بأن الصراع هو: "إرادة مجتمع في امتلاك المزيد من الأشياء والعيش نحو الأفضل يجعل من الصراع كآلية".[4]

بينما نظرية الصراع فهي تشير إلى حصول التضاد بين دوافع ورغبات متعارضة، مما يؤدي كقاعدة إلى نشوء التوتر العاطفي لدى الشخص.[5]

1- Oxford basic, dictionary, p 378.

2- محمود شفيق غربال، الموسوعة العربية الميسرة، المجلد الثاني، 1416هـ/1995م، ص 121.

3- جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ج1، 1975، ص 725.

4- ريموند آرون، صراع الطبقات، ترجمة عبد الحميد كاتب، منشورات عويدات، بيروت، 1965، ص 37.

5- سعد رزوق، موسوعة علم النفس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1979، ص ص 2-3.

أما عند بعض المفكرين المسلمين المعاصرين فينظرون إلى الصراع على أنه إحدى محاكاة الحياة الاجتماعية وامتداد التاريخ البشري وله صوره المتعددة والمتنوعة: الصراع بين الخير والشر، العدل والظلم، الحب والحقد، العفو والثأر، الحق والباطل، وبعبارة أخرى فالصراع بين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يتوقف إلا بتوقف الحياة لقوله تعالى: «وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ».[1] ولقوله تعالى أيضا: «إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيدًا».[2]

نستنتج أن الصراع فطرة خلقت مع الإنسان ولا يمكن أن تختفي لاختلاف الناس و لكثرة الصراعات بين الدول والتسابق نحو التسلح، وهو يتنوع بتنوع الأهداف والرغبات المنشودة.

مفهوم الصدام لغة

ورد في منجد اللغة العربية: صَدَمَ صَدْمً: دفع بعنف وشدة، دخل في الشيء وحطمه، صدام تصادم، ارتطام شيء بشيء آخر، خلاف، نزاع، مشادة، مشاحنة.[3]

أما في قاموس أكسفورد الحديث، فإن كلمة (clash) تحمل معنى يتناف، يتضارب، يشتبك اشتباكا مسلحا.[4]

1- سورة هود، الآية 118

2- سورة الأحزاب، الآيات 10-11.

3- شبلي هجيرة، إشكالية العلاقة بين الحضارات -زكي الميلاد نموذجا-، مذكرة لنيل داجة الماجستير في فلسفة الحضارة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة باتنة، 2012-2013، ص 56.

4- Oxford Basic, English dictionnary New, 3rd edition, University Press, 2006, p 68.
عن شلبي هجيرة، مذكرة ماجستير، إشكالية العلاقة بين الحضارات، ص 56.

الصدام اصطلاحا

يعني حالة التأثير الحاصل بين شيئين متجانسين أو غير متجانسين في مادة التكوين (الطبيعة) أو الفاعلية (السبب) أو الغائية (الغرض) لدى التقائهما في زمان ومكان معينين، إذا أعاق أحدهما انتشارا للآخر أو منعه من أو دعاه إلى التراجع.[1]

الفرق بين الصراع والصدام

الصدام هو نفي واستئصال وتغريب وهجرة نحو النجوم العالية، فهو نفي لما يمكن أن نطلق عليه الأفكار المشتركة للسياق الحضاري الواحد لعالم القرن الواحد والعشرين، وهو على الدوام يكون عنيفا وانتقاميا وأحيانا متقلبا، فهو يمر في يوم هادئا أو دبلوماسيا أو حضاريا، وهو الاستعمال الذي أشاعه **هنتنغتون** في مؤلفه مقصود وليس مصادفة محضة.

أما الصراع ليس عدوانيا، حيث تدخل تحت خيمته أشكال متعددة من الحوارات سواء كانت سياسية أم اقتصادية أم ثقافية أم عسكرية، وهو بالنتيجة ليس للصدام والتطاحن، بل إنه في أغلب الأحيان يكون جسرا للاتصال ووجهة نظر المختلفين والمتصارعين.

الصراع كذلك يحتمل أن يكون عنيفا، ولكن هذا العنف حالة مؤقتة وشكل استثنائي، وكما أن الصراع قد يكون شاملا على أصعدة مختلفة وفي وقت واحد، بحيث تبدو أشكال الصراع وكأنها فروع مشتعلة بالحماسة والقوة، والصراع عند بعض المفكرين المسلمين المعاصرين فإنه سنة فردية واجتماعية، فالصراع والتدافع هو سبيل الحيوية والنمو ولازدياد علامة الحياة والاستمرار.[2]

مما سبق نستنتج أن هناك فرق شاسع بين مصطلحي الصدام والصراع، فمصطلح الصراع الذي تجري استعمالاته مترادفة مع مفهوم الصدام بين منظري الإستراتيجيات الكونية

1- شلبي هجيرة، إشكالية العلاقة بين الحضارات -زكي الميلاد نموذجا-، مرجع سابق، ص 56.

2- شلبي هجيرة، إشكالية العلاقة بين الحضارات -زكي الميلاد نموذجا-، المرجع نفسه، ص ص 57-58.

هو أقل استفزازا وتهيجا وهو حالة إنسانية أرقى من الصدام، ويحمل معاني أقل ضررا وعدوانية، مما يعني أن استعمال مصطلح الصدم مقصود، بهذا يتسنى لنا أن نمهد الطريق في استقراء العقل المهيمن عالميا.

الحضارة لغة

تعتبر كلمة حضارة من الألفاظ اللغوية الأكثر شيوعا في الاستعمال لدى الكتاب والمفكرين في عصرنا، غير أن هناك غموضا يكتنف مدلولها، ولعل ذلك يرجع إلى الخلفية الفكرية والتكوين العلمي والزاد المعرفي لدى هؤلاء الكتاب، مما أدى إلى عدم اتفاق على معنى محدد لها.

في صحيح مسلم، حضر: الحضور نقيض المغيب والغيبة؛ حضر يحضر حضورا وحضارة، والحضر خلاف البدو، والحاضر خلاف البادي، وفي الحديث الشريف عن **ابن عباس** رضي الله عنهما قال: نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تتلقى الركبان، وأن يبيع حاضر الباد.[1]

والحضارة: الإقامة في الحضر، والقصد من هذا الحديث الشريف أنه يحرم على تاجر المدينة أن يزيد في ثمن البضاعة التي أبقاها عنده تاجر البادية.[2]

أما عن زمن ظهور مصطلح حضارة فقد استخدم لأول مرة سنة 1704م، بمعنى التمدن؛ أي التخلق بأخلاق أهل المدن واللبس مثلهم والسلوك كأدبهم والتحدث بلغتهم.[3]

1- ابن الحسين مسلم بن الحجاج القشري النيسابوري، مختصر صحيح مسلم، تحقيق ناصر الدين الألباني، جاب البيوع، المكتب الإسلامي، بيروت، ط4، 1992، ص 2050.

2- ابن منظور، لسان العرب، مادة حضر.

3- عبد المنعم الحنفي، المعجم الشامل، المصطلحات الفلسفية، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، ط3، 2000، ص 301.

وفي اللغة الأجنبية نجد قاموس اللغة الفرنسية (Le petit Larousse illustré) بأن الحضارة (Civilisation) هي "مجموعة الميزات والقيم الشاهدة على درجة التقدم الإنساني وتطور المجتمعات الإيجابي".[1]

الحضارة اصطلاحا

إن كلمة حضارة وتحضر لم تكن شائعة في استعمالات العربية اللغوية في البداية، وذلك طيلة القرون التي أعقبت مرحلة الفتوحات الإسلامية، ويكاد يكون **ابن خلدون** أول من نبه إليها واستخدمها في مقدمته من خلال اصطلاحه الخاص "العمران البشري" وهو يقابل مصطلح الحضارة البشرية.[2]

وفي هذا يقول **ابن خلدون:** "أعلم أن حقيقة التاريخ أنه خبر عن الاجتماع الإنساني الذي هو عمران العالم، وما يعرض لطبيعة ذلك العمران من الأحوال مثل التوحش والتأنس والعصبيات وأصناف التغلبات للبشر بعضهم على بعض، وما ينتجه البشر بأعمالهم ومساعيهم والكسب والمعاش والعلوم والصنائع وسائر ما يحدث من ذلك العمران بطبيعة الأحوال".[3]

وحسب **إدريس هاني** لم يقف **ابن خلدون** عند التعريف التقليدي للحضارة باعتبارها حضورا، بل إن تأملاته فيما لم يقص بأي حال من الأحوال أنماطها الحديثة.[4]

1- Le petit Larousse illustré, Paris, Larousse, 2007, p 251.

2- سليمان الخطيب، أسس مفهوم الحضارة في الإسلام، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ط1، 1986، ص 10.

3- عبد الرحمن محمد بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر، ضبط وشرح وتقديم محمد الإسكندراني، دار الكتاب العربي، بيروت، 2008، ص 41.

4- إدريس هاني، حوار الحضارات بين أنشودة المثاقفة وصراحة الهامش، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2002، ص 100.

ويقول أنه أرجعها إلى النشاط الصناعي خلافا لـ**ووول ديورانت** الذي ألصقها بالنشاط الزراعي، فالحضارة إذن هي حضور الدولة ورسوخها، وهذا ما يؤكده **ابن خلدون** في قوله: "إن الحضارة في الأمصار من قبل الدول وأنها ترسخ باتصال الدولة ورسوخها".[1]

أما **مالك بن نبي** فيعرف الحضارة "أنها إنتاج فكرة حية تطبع على مجتمع في مرحلة ما قبل التحضر، الدفعة التي تجعله يدخل التاريخ، فبنى هذا المجتمع بنظامه الفكري طبقا للنموذج المثالي الذي أوحى على هذا صياغة خصائص تتحكم في جميع خصائصه التي تميزه على الثقافات الأخرى والحضارات الأخرى".[2]

وتعرف كذلك أيضا بأنها "اتحاد عناصر ثلاثة (الإنسان، الزمن والتراب) اتحادا متينا موجبا فعلا، ولما كان الإنسان هو العنصر الموجه المؤثر المتغير بين العناصر الثلاثة علينا رصده ودراسته أولا وآخرا، فالإنسان بعقله وعضلاته... بعقول إخوته البشر وعضلاتهم... يستنبط من التراب الذهب والحديد والفضة والبترول، ويستفيد من مرور الزمن بزيادة القوى والإنتاج والمعارف".[3]

أما عند الغرب فيعرف **أرنولد توينبي** الحضارة تعريفا مرتبط بنظريته القائمة على ثنائية التحدي والاستجابة،هذا التحدي بالشيء وللشيء وتنمو الحضارات بالتحدي الأقصى بدافع حيوي تكون فيه الاستجابة لرد وحيد مكلل بالنجاح باكتساب قوة للدفع إلى الأمام بانتهاج معارك جديدة.[4]

ويعرفها **هنتنغتون** كذلك بأنها أعلى تجمع ثقافي للبشر وأوسع مستوى من الهوية الثقافية يكاد يكون شعب ما قد وصل إليها والتي تميز بني البشر عن الأنواع الأخرى،

1- عبد الرحمن ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، المرجع السابق، ص 386.

2- مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، ترجمة بسام بركة، دار الفكر، سوريا، ط1، 1988، ص 49.

3- محمد الحسناوي، في الأدب والحضارة، دار عمار، عمان، المكتب الإسلامي، بيروت، ط1، 1985، ص 08.

4- Arnold Toynbee, L'histoire, Edition Bordas, Biologique, 1985, p 194.

الحضارة يمكن التحديد بها من خلال كل من العناصر الموضوعية المشتركة مثل: اللغة والتاريخ، الديانة، العادات، المؤسسات، والتعريف بالكيان الذاتي للشعب.[1]

وإذا أخذنا مجمل الدلالة السابقة، يمكننا القول بأن صراع الحضارات يعني صراع بين المفاهيم والتصورات والقيم والمبادئ المتناقضة المتضاربة والتي تحددها معالم وطريقة الحياة لكل حضارة أو أمة من تلك الحضارات أو الأمم، هو صراع وتدافع بين مفاهيم وقيم الشر والظلم والطغيان وأتباعها من جهة، وبين مفاهيم وقيم الخير والحق والعدل وأتباعها من جهة أخرى.

وهناك أيضا الدلالة الدينية وهي الصراع بين التوحيد وأهله من جهة، وبين الشرك والكفر والإلحاد وأهله من جهة أخرى، والعدالة الاجتماعية المحيلة على صراع الطبقات والاحتكاك...الخ.

نشأة صراع الحضارات

لم يكن **صموئيل هنتنغتون** هو أول من أقر بوجود صراع بين الحضارات، فالكلمة على الإسلام والمسلمين تعود إلى قرون، بل بدأت مع ظهور الدعوة الإسلامية المباركة منذ أربعة عشر قرنا من الزمان، وتبلورت أكثر في أوقات الحروب الصليبية وحملة الإبادة الجماعية لمسلمي الأندلس، ثم رسخت جذور العنصرية أكثر في حقبة الاستعمار الأوربي لمعظم بلاد العالم الإسلامية... ثم وجد الغرب نفسه بحاجة إلى ملء الفراغ الذي سببه انهيار الشيوعية وزوال خطرها، باختلاق خطر آخر، لأنه من الصعب بعث الحياة في فكرة أوربا الموحدة إن لم يكن هناك خطر خارجي.

وقد سبق **هنتنغتون** في حكاية هذا الصراع الرئيس الأمريكي الأسبق **ريتشارد نيكسون** الذي أكد صراحة في كتابه (الفرصة السانحة) أو (انتهزوا الفرصة)، أن العالم الإسلامي هو

1- صموئيل هنتنغتون، صدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي، ترجمة مالك عبيد أبو شهيوة ومحمود خلف مصراتة، دار الجماهيرية للنشر والتوزيع، ط1، 1999، ص 106.

العدو المستقبلي للغرب بعد انهيار الاتحاد السوفييتي، وكرر ذات المقولة أمين عام سابق لحلف شمال الأطلنطي ثم تلاه **فرنسيس فوكوياما** الذي تحدث عن قرب نهاية التاريخ وانتصار الحضارة الغربية على العالم الإسلامي،[1] حيث أرجع الأصول البعيدة لأطروحته (نهاية التاريخ) إلى مقال له بعنوان "هل هي نهاية التاريخ" كتبه لمجلة The national interest عام 1989م، حيث ذهب في ذلك المقال إلى أن اجتماعا ملحوظا قد ظهر في السنوات القليلة الماضية في جميع أنحاء العالم حول شرعية الديمقراطية اللبرالية كنظام للحكم بعد أن لحقت الهزيمة بالإيديولوجيا المنافسة مثل الملكية الوراثية والفاشية والشيوعية في الفترة الأخيرة، غير أنه أضاف إلى ذلك أن الديمقراطية اللبرالية قد تشكل نقطة النهاية في التطور الإيديولوجي للإنسانية، والصورة النهائية لنظام الحكم البشري، وبالتالي فهي تمثل نهاية التاريخ لأنه من غير المستطاع أن نجد ما هو أفضل من الديمقراطية اللبرالية مثلا أعلى.

وتلقى هذا المقال صورا متنوعة من النقد، وقد برر **فوكوياما** ذلك إلى أن الأمر اختلط على الكثيرين للوهلة الأولى بسبب استخدامه لكلمة تاريخ، فهم إذًا يفهمون التاريخ بمعناه التقليدي باعتباره سلسلة من الأحداث، وهذا الفهم فيه إثبات خطيئة على نحو قاطع، بل يقصد بالتاريخ من حيث هو عملية مفردة متلاحمة وتطورية من أخذنا بعين الاعتبار تجارب كافة للشعوب في جميع العصور.[2]

نظرية صراع الحضارات عند هنتنغتون :

في صيف عام 1993م نشرت فصيلة (شؤون خارجية) مقال بعنوان "صدام الحضارات" أثار جدلا استمر ثلاث سنوات، وكما يقول محررو المجلة أكثر مما أثاره أي

1- أحمد شفيق، الإسلام والآخر، جريدة النور الإسلامية، د ع، د ط، د س، ص 03.

2- فرانسيس فوكوياما، نهاية التاريخ وخاتم البشر، ترجمة حسين أحمد أمين، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، ط1، 1993، ص 08-09.

مقال نشروه منذ الأربعينيات، والمؤكد أنه أثار بالفعل جدلا على مدى ثلاث سنوات أكثر من أي شيء آخر كتبته.

فقد جاءت الردود والتعليقات من كل قارات العالم ومن عشرات الدول، وقد تنوعت مشاعر الناس وانطباعاتهم بين الفضول والغضب والخوف والحيرة بسبب الفكرة التي عبرت عنها، وهي أن البعد الرئيسي والأكثر خطورة في السياسة الكونية الناشئة سوف يكون الصدام بين جماعات من حضارات مختلفة.[1]

منطلقات صدام الحضارات عند صموئيل هنتنغتون

إن الافتراض الرئيسي في خطاب صدام الحضارات هو أن الثقافة أو الهوية الثقافية التي هي في أوسع معانيها الهوية الحضارية التي تشكل نماذج التماسك، والصراع في عالم ما بعد الحرب الباردة.[2]

ويضيف: في عالم ما بعد الحرب الباردة، فإن أكثر الاختلافات أهمية بين الشعوب ليست إيديولوجية ولا سياسية أو اقتصادية، إنما ثقافية أو تراثية.

إن مجموعة الدول الأكثر أهمية لم تعد مكونة من ثلاثة معسكرات كما في الحرب الباردة، ولكن من سبع أو ثمان حضارات رئيسية... إن الصراع بين القوى العظمى قد حل محله صدام الحضارات، حيث يؤكد أن هذا العالم الجديد، فإن أكثر الصراعات انتشارا أو خطورة لن يكون بين طبقات اجتماعية، غنية أو فقيرة، أو جماعات أخرى محددة على أسس اقتصادية، ولكن بين شعوب تنتمي إلى هويات ثقافية مختلفة، الحروب القبائلية والصراعات العرقية سوف تقوم داخل الحضارات.[3]

وفيما يلي سنقف عند أهم النقاط التي أثارها **هنتنغتون** والمتمثلة في:

1- صموئيل هنتنغتون، صدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي، مرجع سابق، ص 63-64.

2- المرجع نفسه، ص 71.

3- صموئيل هنتنغتون، صدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي، مرجع سابق، ص 73-75.

خصائص الحضارة العالمية

1- طبيعة الحضارة

لقد أجاب **هنتنغتون** عن السؤال: ماذا نعني عندما نتحدث عن الحضارة؟ بأن الحضارة هي أرفع تجمع ثقافي للبشر وهي أشمل مستوى للهوية الثقافية لا يفوقه من حيث تحديده للهوية الثقافية إلا الذي يميز الإنسان عن غيره من الأنواع الأخرى، ويمكن تحديدها أو تعريفها بكل من العناصر الموضوعية مثل اللغة والتاريخ والدين والعادات والمؤسسات وبالتمايز الذاتي للبشر.[1]

2- تقسيم الحضارات

تنقسم الحضارات المعاصرة عند **هنتنغتون** إلى سبع أو ثمان حضارات وهي:

الحضارة الصينية: يقر جميع الباحثين إما بوجود حضارة صينية واحدة متميزة ترجع على الأقل إلى 1500 ق.م وربما قبل ذلك بألف عام، أو بوجود حضارتين صينيتين تلت إحداهما الأخرى في القرون الأولى من العهد المسيحي.

وفي مقالي الذي نشرته (Foreign affaires) أطلقت على تلك الحضارة اسم الحضارة الكنفوشية وهي أحد المكونات في الحضارة الصينية.

واصطلاح الصينية يصنف الثقافة العامة للصين –بشكل صحيح– في جنوب شرق آسيا وفي مكان خارج الصين، وكذلك الثقافات ذات الصلة مع فيتنام وكوريا اليابانية،[2] يضم بعض الباحثين الثقافتين الصينية واليابانية تحت عنوان "حضارة الشرق الأقصى" ويعتبرونها حضارة واحدة، ولكن كثيرين لا يفعلون ذلك ويعتبرون اليابان حضارة مستقلة وأنها ظهرت خلال الفترة من سنة 100 ق.م إلى 400م.

1- صموئيل هنتنغتون، الإسلام والغرب آفاق الصدام، ترجمة مجدي شرشر، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 1995، ص ص 08-09.

2- صموئيل هنتنغتون، الإسلام والغرب آفاق الصدام، مرجع سابق، ص 75.

الهندية: وهي حضارة أو أكثر من حضارة متتالية، والمتفق عليه بشكل عام هو أنها وجدت على شبه القارة الهندية منذ 1500 ق.م على الأقل، ويشار إليها عادة بـ"الأنديين" أو "الإنديك" أو "الهندو"، والاصطلاح الأخير هو المفضل بالنسبة للحضارة الأحدث.[1]

الإسلامية: يقر جميع الباحثين الرئيسيين بوجود حضارة إسلامية متميزة بعد أن نشأ الإسلام في شبه الجزيرة العربية في القرن السابع الميلادي، انتشر بسرعة عبر شمال إفريقيا وشبه جزيرة أيبيريا، كما انتشر شرقا في آسيا الوسطى وشبه القارة الهندية وجنوب شرق آسيا.

الغربيـة: يؤرخ للحضارة الغربية عادة بأنها ظهرت حوالي سنة 700 أو 800م، ويرى الباحثون عامة أنها تتكون من ثلاثة مكونات رئيسية في أوربا وأمريكا الشمالية وأمريكا اللاتينية.

الأمريكية اللاتينية: أمريكا اللاتينية لها هوية متميزة تجعلها مختلفة عن الغرب، ورغم أنها من بنت الحضارة الأوربية إلا أنها تطورت على امتداد كل المسارات المختلفة عن أوربا وأمريكا الشمالية، وقد كانت لها ثقافتها المشتركة الخاصة كالتي كانت لأوربا بدرجة أقل، بينما لم تكن متوفرة لأمريكا الشمالية بالمرة.[2]

الإفريقية (احتمال): بعض الباحثين في الحضارة باستثناء **برودل** لا يعترفون بوجود حضارة إفريقية مائزة، فشمال القارة الإفريقية وساحلها الشرقي ينتمون إلى الحضارة الإسلامية، وفي أماكن أخرى جاء الاستعمار والمستوطنون بعناصر من الحضارة الغربية، وفي جنوب إفريقيا صنع المستوطنون الهولنديون والفرنسيون ثم الإنجليز ثقافة أوربية متعددة المكونات الصغيرة، والأهم من ذلك أن الاستعمار الأوربي جلب معه المسيحية إلى معظم البلاد جنوب الصحراء عبر إفريقيا، الهويات القبلية سائدة ومنتشرة، ولكن الإفريقيين –بدرجة متزايدة– أصبحوا

1– صموئيل هنتنغتون، صدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي، مرجع سابق، ص 75.

2– المرجع نفسه، ص 76.

يتبعون إحساسا بالهوية الإفريقية، ويمكن أن نفكر بإفريقيا المجاورة للصحراء والتي يمكن أن تتحدد في حضارة مائزة ويمكن أن تكون جنوب إفريقيا هي دولة المركز فيها.[1]

3- رفض الحضارة الواحدة العالمية

إن انبثاق مصطلح حضارة عالمية أو حضارة كونية يتضمن عموما الالتقاء الثقافي للبشرية والقبول المتزايد للقيم والعقائد والاتجاهات والممارسات والمؤسسات المشتركة للشعوب في جميع أنحاء العالم.[2]

لكن **هنتنغتون** يرفض فكرة الحضارة الغربية العالمية، حيث أكد أن استعمال الأدوات الغربية من لباس ارتداء الجينز وشراب الكوكاكولا وموسيقى الراب لا يعني بأي حال من الأحوال اندماج الحضارات الأخرى في الحضارة الغربية، الغزو الساذج فقط يمكن أن يقود الغربيين إلى الاعتقاد بأن غير الغربيين سيصيرون متمدنين على النمط الغربي باكتساب السلع الغربية، ويتساءل: ما الذي حقا يعني قوله للعالم عن الغرب عندما يعرف الغربيون أنفسهم وحضارتهم بالوسائل الغازية والبنطلونات ذات الموضة والأطعمة الدسمة... فماذا يعني ذلك فعلا بالنسبة للعالم عن الغرب؟

شكل آخر أكثر تعقيدا لثقافة عالمية يركز على الإعلام وليس على السلع الاستهلاكية، يركز على هوليوود أكثر من كوكاكولا، سيطرة أمريكا على السينما العالمية والتلفزيون والفيديو يفوق سيطرتها على صناعة الطائرات.[3]

4- خصائص الحضارة الغربية

1- صموئيل هنتنغتون، صدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي، مرجع سابق، ص 78.

2- المرجع نفسه، ص 93.

3- المرجع نفسه، ص ص 96-97.

انصرف **هنتنغتون** إلى تحديد جملة من الخصائص التي تشكل ملامح الحضارة الغربية وبها تفوقت على غيرها وتمثلت في: الميراث الكلاسيكي والمتمثل في الفلسفة اليونانية والعقلانية، والقانون الروماني واللاتينية والمسيحية والكاثوليكية والبروتستانتية (المسيحية الغربية)، واللغات الأوربية بصورها المتباينة والفصل بين الكنيسة وسلطة الدولة وسيادة القانون والتعددية الاجتماعية والهيئات النيابية والنزعة الفردية.[1]

5- الخوف من انبعاث الحضارات

توجد صورتان عن قوة الغرب بالنظر إلى العلاقة مع الحضارات الأخرى.

الصورة الأولى: الهيمنة المتفوقة والمنتصرة الشاملة غالبا للغرب، لأن بتفكك الاتحاد السوفييتي زال التحدي الخطر الوحيد للغرب، وكنتيجة فالعالم هوهو وسيظل يتشكل بأهداف وأولويات ومصالح الدول الغربية.

الصورة الثانية: إنها حضارة في حالة اضمحلال نصيبها من القوة العالمية السياسية والاقتصادية والعسكرية آخذ في الهبوط بالقياس إلى قوة الحضارات الأخرى، فالانتصار في الحرب الباردة لم ينتج فورا، بل إنهاكا، إن الغرب بدأ مهتما بشكل متزايد بمشاكله واحتياجاته الداخلية، فيما هو يواجه نموا اقتصاديا بطيئا وركودا في عدد سكانه، البطالة، تفاقمات هائلة في العجز الحكومي، اضمحلال أخلاقيات العمل، معدلات ادخار بطيئة، التفكك الاجتماعي، المخدرات، الجريمة...، كما أن القوة العسكرية والنفوذ السياسي بدءا يتبعان نفس الاتجاه، والعالم الإسلامي صار بشكل متزايد عدوانيا نحو الغرب، كذلك الحال بالنسبة لثقة الغرب في نفسه وإرادته في الهيمنة، إن أكبر أهم زيادة في القوة ستكون للحضارات الآسيوية مع بزوغ الصين التدريجي كمجتمع هو الذي يتحدى على الأرجح الغرب من أجل النفوذ العالمي.

1- صموئيل هنتنغتون، صدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي، مرجع سابق، ص 149-152.

هذه التحولات في القوة بين الحضارات تؤدي الآن وسوف تؤدي إلى إحياء وتأكيد الذات الثقافي المتزايد للمجتمعات الغير غربية ورفضهم المتزايد للثقافة الغربية.[1]

ولذلك يلح **هنتنغتون** على أن يتخذ الغرب جميع التدابير على المستوى القريب كما على المستوى البعيد للدفاع عن مركزه ومصالحه، وأنهى **هنتنغتون** كتابه بأن مستقبل كل من السلام والحضارة يعتمد على الفهم والتعاون بين القيادات السياسية والروحية والفكرية للحضارات الكبرى للعالم.[2]

1- صموئيل هنتنغتون، صدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي، مرجع سابق، ص 168-170.

2- المرجع نفسه، ص 533.

الفصل الأول

العلاقة بين الشرق والغرب

المبحث الأول: لمحة عن مصطلحي الشرق والغرب أو الأنا والآخر

المبحث الثاني: طبيعة العلاقات التاريخية والثقافية بين الشرق والغرب

المبحث الثالث: رؤى الأنا والآخر في الرواية العربية

المبحث الرابع: ضرورة الحوار بين الحضارات

المبحث الأول: لمحة عن مصطلحي الشرق والغرب أو الأنا والآخر

الإشكالية هنا تنصب في ثنائيتي الشرق والغرب، أو الأنا والآخر؛ أي الأنا يمثل الشرق في خلاف الآخر الدال على الغرب، وهذا ما نلاحظه من خلال هذا المفهوم إذا اتسعت دائرتا الأنا والآخر وغموض دلالتهما، فالأنا يعني (بلاد الشرق) أو الإسلام أو العروبة أو بلدان العالم الثالث أو النامي أو المتخلف...الخ، فهي دوائر متداخلة يصعب الفصل بينها أو حصرها ضمن مجال محدد، ولا يتم معرفة الأنا/الآخر من دون إحدى الإشكاليات التي تمنح القضية الحادة لأنا ما والآخر هي أن هذا الذي يطلق عليه الأنا/الآخر مثلها تماما، ولا يوجد في صفة محددة، بل يستحيل إلا بتشويهه واختزاله.[1]

فإذا حاولنا ضبط مصطلح الشرق فإن التاريخ يعود بنا إلى جذوره الأولى، إذا كان مدلوله يشمل كل من سوريا ومصر وبلاد الرافدين، واتسع ليشمل الجزيرة العربية وفارس وتركيا ثم امتد في مراحل لاحقة ليشمل الهند والصين واليابان وما إليهما من بلدان آسيا، فقد جعل الآخر لدى الغرب يأتي في مقابل الإسلام.[2]

"وهي تسمية ليست ناتجة عن خصائص اجتماعية أو بشرية أو اقتصادية بل هي سياسة غربية رأسمالية تستقطب دولا غير عربية وتستبعد دولا عربية".[3]

فارتباط مصطلح الذات بالشرق متمثلة في الإمبراطورية الرومانية الشرقية بالذاكرة الأوربية مثلت في الآخر الغرب، وكانت من منطلق معطيات جغرافية وأريد بها غير ذلك، وقد يكون السبب في ذلك أن الذاكرة الأوربية لا تريد أن تتخلى عن فكرة كون الوطن العربي

1- علاء عبد الهادي، شعرية الهوية (نقض فكرة الأمل، الأنا بوصفها أنا أخرى)، مجلة عالم الفكر، عدد01، مج36، الكويت، سبتمبر 2007، ص 231.

2- محمد عابد الجابري، الغرب والإسلام، مجلة العربي، عدد503، الكويت، 2000، ص ص 08-09.

3- محمد راتب الحلان، نحن والآخر، دراسة في بعض المتداولة في الفكر العربي الحديث المعاصر، منشورات اتحاد كتاب العرب، سوريا، د ط، 1997، ص 01.

سيما شمال إفريقيا ومصر والشام، كانت في يوم من الأيام جزءا من الإمبراطورية الرومانية الشرقية.[1]

وإذا كان إطار الأنا تكتنفه هذه الميوعة، فإن الشأن ذاته بالنسبة للآخر، "فالغرب نفهم دلالته من السياق، ويمكن أن يتحدد باعتباره البعد السياسي أو الجغرافي أو الاقتصادي..." وقد يكون أوربا أو الدولة المتقدمة عموما، أو الآخر المتخلف دينيا أو حضاريا، أو كل هذا معا.

فالخلط شائع ولم يتم تحديد الحقول الدلالية لهذا المصطلح وإنما وقع التعامل مع الغرب باعتباره مسلمة لا تثير السؤال، وهو عادة نقيض للعرب مقابل له.[2]

وهذا ما أكده الغربيون أنفسهم على لسان أحد دارسيهم بقوله: "لقد اعتدنا نحن الأوربيون منذ مدة أن نطلق على مجموعة البلاد التي تنتمي إليها اسم الغرب، ولم يعد هذا التعبير يعني جغرافيا خالصا، بقدر ما يعني كيانا ثقافيا واجتماعيا وسياسيا وعسكريا".[3]

وعليه فإذا كان الغرب هو الأنا، فالشرق بالنسبة إليه هو الآخر، وإذا كان الشرق هو الأنا فإن الآخر هو الغرب، وإذا كان العالم الثالث هو الأنا فإن الشرق والغرب معا هو الآخر بالنسبة إليه وهكذا دواليك.

وصفوة القول أن الآخر يتحدد وفقا لحاجات الأنا وليس من شيء في أن الغرب هو الآخر بالنسبة إلى شعوب العالم الثالث في إفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية، وهكذا الأمر بالنسبة إلينا في الوطن العربي والعالم العربي والإسلامي.[4]

المبحث الثاني: طبيعة العلاقات التاريخية والثقافية بين الشرق والغرب

1- محمد راتب خلاف، نحن والآخر، مرجع سابق، ص 37.

2- الزهرة بلحاج، الغرب في فكرة هشام شرابي، دار الفارابي، بيروت، ط1، 2004، ص 14.

3- محمد راتب خلاف، نحن والآخر، مرجع سابق، ص 42.

4- يوسف بكار، خليل الشيخ، الأدب المقارن، الشركة العربية المتحدة للتسويق والتوريدات، ط1، 2009، ص 46.

1- العلاقات التاريخية

1-1- الحروب الصليبية: الحروب الصليبية (أو الحملات الصليبية) سلسلة حروب شنها ملوك أوربا بين القرنين الحادي عشر والرابع عشر الميلادي للسيطرة على الأراضي المقدسة وتخليص بيت المقدس من أيدي المسلمين.[1]

ويعرفها **سعيد عبد الفتاح عاشور** بأنها حركة كبرى نبعت من الغرب الأوربي المسيحي في العصور الوسطى واتخذت شكل هجوم حربي استعماري على بلاد المسلمين، وبخاصة في الشرق الأدنى بقصد امتلاكها،[2] وهي تعد أول اتصال حركي يتم بين الشرق والغرب على نطاق واسع.

ومهما يكن فإن هذه الحروب التي نشبت في نهاية العصور الوسطى (1096-1294) مثلت أكبر محاولة وجهت اهتمام الغرب الأوربي إلى الشرق الإسلامي، بعد أن كانت الصلات قديما تقتصر على بعض رحلات الحج المحدودة من الغرب إلى الشرق لزيارة بيت المقدس، أو بعض العلاقات التجارية والمبادلات الدبلوماسية، والدافع إلى حمل أوربا على إعلان الحروب الصليبية ضد العالم الإسلامي ترجع في حقيقة أمرها إلى دوافع كثيرة لا يمكن حصرها، ويمكننا الإشارة إلى دافعين هما: الأول دافع الطمع والكسب الذي اختلفت أنواعه وأشكاله، مادية، توسعية واستعمارية، والثاني دافع ديني نصراني مشبع بالحقد ضد العالم الإسلامي.[3]

وما يمكن استخلاصه أن الحروب الصليبية بمعناها الواسع لم تكن إلا لونا خاصا من ذلك الصراع الدائم بين الشرق والغرب، الذي اختلفت تسميته باختلاف الزمان والمقاصد، وإذا

1- Voir Antony.J.C Kear, The crusactes, first, Publisher, New York, 1966, p 08

2- سعيد عبد الفتاح عاشور، تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، دار النهضة العربية، بيروت، 1972، ص 15.

3- أمل نصر، جماليات الفنون الشرقية وأثرها على الفنون الغربية، سلسلة آفاق الفن التشكيلي، القاهرة، ط1، 2007، ص 22.

كان هذا الصراع تمثل في العصور القديمة ما بين الفرس من جهة واليونان والرومان من جهة أخرى منفذا صيغة الغزو والاكتساح في سبيل تكوين السلطات العظمى والإمبراطوريات العالمية، فإنه في العصور الوسطى أخذ الصيغة الدينية من الجهاد الإسلامي والحروب الصليبية الأخرى.

أما في العصور الحديثة، فإن صيغة هذا الصراع كان هذا الاستعمار الذي ران على الشرق عموما والإسلام خصوصا في أشكال متباينة وأوضاع مختلفة، اعتمد فيها الغرب أكثر ما اعتمد على الحيل والدسائس.[1]

1-2- الاحتلال: من العلاقات التاريخية بين الشرق والغرب، نجد ظاهرة الاستعمار، ويرجع كثير من الباحثين الإرهاصات الأولى للاستعمار الحديث إلى فترة غزو الهنود الحمر وفتح أمريكا سنة 1492م، وهو نفسه تاريخ سقوط آخر معاقل الإسلام في الأندلس (غرناطة) في أيدي المسيحيين الإسبان، وما علاه من أحداث أدت إلى اشتباك الغرب بالشرق مرة أخرى بعد ذلك العنف التاريخي القديم بين الفرس واليونان وبين المسلمين والرومان، وبين الإفرنج الصليبيين والشرق الإسلامي، غير أن الاستعمار في العصر الحديث أصبح يتملكه نزوع استيطاني للشرق معززا بآليات مادية ومعرفية لم يسبق لها مثيل في تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب.

وقد عرَّف الباحثون الاستعمار بأنه نزوع الدولة الكبيرة إلى فرض سلطانها على البلدان الأخرى والاحتفاظ بسيطرتها عليها بمختلف الوسائل السياسية والاقتصادية والعسكرية، ويعمل الاستعمار على تشجيع رعايا الدولة على الهجرة وربطها بالدولة الكبيرة ربطا عضويا، وهو ما يعرف بالاستعمار الاستيطاني، ومن أبرز الأمثلة عليه الاستعمار الفرنسي للجزائر.

وهذا التعريف يحدد أنواع الاستعمار الذي يمكن تقسيمه إلى نوعين:

1- جمال مباركي، الغرب في الرواية العربية الحديثة، بحث مقدم لنيل درجة دكتوراه في الأدب العربي الحديث، جامعة العقيد الحاج لخضر باتنة، الجزائر، 2008-2009، ص ص 40-41.

أ- **الاستعمار المباشر الجلي الظاهر:** أو ما يعرف بالكولونيالية، ومعناها استعمال دولة حق السيادة على إقليم خارج حدود أراضيها، فيفقد بذلك كيانه الخالد وشخصيته الدولية وتتبع بذلك السيطرة على كافة شؤونه، والحصول على كل المزايا الاقتصادية التي تطمع فيها الدولة المستعمِرة بشكل مجحف للإقليم الواقع تحت سيطرتها.[1]

وقد عرف **إدوارد سعيد** الاستعمار الغربي المباشر بأنه: "زرع مستوطنات في بقاع من الأرض قصية... وهو ليس مجرد فعل بسيط بقدر ما هو مدعم ومعزز ومفروض من قبل تشكيلات عقائدية مهيمنة تشمل مفاهيم فحواها أن بعض البقاع والشعوب تتطلب وتتضرع أن تخضع للسيطرة".[2]

ب- الاستعمار الغير مباشر: فيكون على شكل وصاية أو حماية أو انتداب، وقد يكون خفيا تتسرب من خلال السياسة والاقتصاد والثقافة والإعلام، وتتولد من خلاله السيطرة والاستغلال، ويعرف بأنه قيام دولة بفرض حكمها ونفوذها أو سيطرتها السياسية والاقتصادية خارج حدودها على شعب أو دولة أجنبية على غير رضى من أهلها.[3]

والاستعمار بشكل عام وبنوعيه المباشر والخفي هو النواة التوسعية لدى شعب ما، هو قدرته على إنتاج نفسه هو اتساعه وتضاعفه عبر الفضاء، هو إخضاع الكون أو جزء هائل منه للغة ذلك الشعب وعاداته وأفكاره وقوانينه.[4]

1- حسن حنفي وصادق جلال العظم، ما العولمة؟ دار الفكر، دمشق، ط2، 2000، ص 113.

2- إدوارد سعيد، الثقافة والإمبريالية، ترجمة كمال أبو ديب، دار الآداب، بيروت، ط3، 2004، ص 80.

3- أنور الجندي، العالم الإسلامي والاستعمار السياسي والاجتماعي، دار الكتب المصرية، القاهرة، د ط، د س، ص 384.

4- إدوارد سعيد، الاستشراق (السلطة، المعرفة، الإنشاء) ترجمة كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، بيوت، ط1، 1981، ص 229.

وإذا كان الغرب قد انقض على الشرق بدعوى أنه حامل لرسالة التحضر للشرق، ومن ثم ظهرت رسالة الرجل مثلث الوجوه (الفاتح، المسلح، المبشر) والباحث عن الثورة وترتيب علاقات الأوربي بغيره في ضوء علاقة جديدة هي علاقة المتبوع بالتابع.

وقد زاد الاستعمار في تكريس مظاهر الضعف وترسيخ التخلف بكل أنواعه محاولا طمس هوية وخصوصيات الشعب الثقافية والحضارية، وبذلك اكتملت الصورة التي يوصف بها الغرب في علاقته بالشرق، وهو صورة الاستعماري المتآمر على الشرق، واتضحت هذه الصورة أكثر عند شعوب الشرق الحضاري كله، حينما فرضت بريطانيا العظمى على الصين استهلاك الأفيون واستعمرت الهند، وضربت الولايات المتحدة الأمريكية مدينتي هيروشيما وناغازاكي اليابانيتين بالسلاح النووي، وبذلك أصبح الشرق كله تحت وطأة الاستعمار، وفي تلك الأثناء كان الرأي العام الغربي متأثرا بخطاب الرسالة الحضارية التي انبعثت من قلب عصر الأنوار الأوربي، مما أفضى مشروعية الاستعمار لدى الرأي العام وعبرت شخصيات حامية الفكر في الغرب عن حقيقة الهدف.[1]

ونستنتج من كل هذا أن الاحتلال كان لحظة صدام التقى فيها الشرق مع الغرب، وكانت الغلبة للغرب.

2- العلاقات الثقافية بين الشرق والغرب

2-1- الاستشراق: هي مدرسة فكرية ذات خصائص ودوافع وغايات وليس من اليسير على الباحث أن يحيط بأسرار هذه المدرسة وأن يستكشف كل خطواتها، وأن يلم بأهدافها.

وكلمة الاستشراق كلمة اصطلاحية لا يراد بها مدلولها اللغوي من حيث التوجه نحو الشرق، يقال: استشرق؛ أي اتجه إلى الشرق، وانتسب إليه، والاستشراق في المفهوم

1- جمال مباركي، الغرب في الرواية العربية الحديثة، مرجع سابق، ص ص 44-45.

الاصطلاحي طلب علوم الشرق، واتجاه للتخصص في معرفتها، والمستشرق هو المختص في علوم الشرق، وحضاراته وآثاره وفنونه، ووضعت كلمة مستشرق لأول مرة سنة 1630م على يد أحد أعضاء الكنيسة الشرقية، ثم أطلقت بعد ذلك على من عرف لغات الشرق،[1] وعند الغربيين هو جملة المعلومات التي تخص الأمم الشرقية ولغاتها وتاريخها وعاداتها ودياناتها وأوضاعها الاجتماعية وأرضها وحضارتها وكل ما يتعلق بها.[2]

والواقع أنه إذا كان مصطلح الاستشراق مأخوذا من لفظة (شرق)، فإن هذه الكلمة استهلكت في الثقافة الغربية واستخدمت في خطاب لا يعكس الحقائق، بل يصور تمثيلات أو ألوانا من التمثيل، مما يجعل من الاستشراق موضوع معرفة، بينما يظل موضوع الواقع لا تربطه صلة تطابق أو تعاكس.[3]

أما عند **إدوارد سعيد** يتمظهر الاستشراق في كونه مدرسة أو محكمة أو سجنا، فهو مدرسة لتفسير الشرق بحضارته وشعوبه وأقاليمه المحلية من جهة، ونظام من التمثلات مؤطر بجملة من القوى التي أفادت هذا الشرق (بوصفه مادة) إلى المعرفة الغربية، فضلا عن كونه تقليدا جامعيا وتأثيرا بالغا، وإقليما، للاهتمام يحدده الرحالة والمشروعات التجارية والحكومات، والحملات العسكرية، وقراء الروايات ومسارد المغامرات الغربية المدهشة، والمؤرخون الذين يمثل الشرق بالنسبة إليهم نمطا مخصصا من المعرفة حول أماكن وشعوب وحضارات معينة، وهو محكمة من حيث يقدم الشرقي في صورة شيء يحاكمه المرء كما في محكمة العدل، شيء يدرسه المرء وبصوره (كما في خطة دراسية)، شيء يؤديه المرء كما في

1- محمد فاروق النبهان، الاستشراق (تعريفه، مدارسه، آثاره)، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، د ط، 2012، ص 11.

2- يحي مراد، افتراءات المستشرقين والرد عليها، منشورات الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2004، ص 87.

3- سالم يعقوب، حضريات الاستشراق، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1989، ص 08.

مدرسة أو سجن، شيء يوضحه المرء ويتمثل عليه كما في دليل وحيز في عالم الحيوان... إن الشرقي في كل هذه الحالات يحتوي ويتمثل بأصر طاغية.[1]

والمستشرق الفرنسي **مكسيم رودنسون** يرى أن كلمة الاستشراق لم تعد تعني شيئا، يقول: "إنني لا أستطيع أن أتحدث وأستفيض في ما ليس موجودا، كذلك أقول بأنه لا يوجد شرق، إنما شعوب، مجتمعات، ثقافات، وبالتالي لا يوجد استشراق أيضا، وإنما توجد أنظمة علمية لها موضوعاتها وإشكالياتها النوعية، مثل علم الاجتماع والاقتصاد السياسي والألسنية والإناسة والفروع المختلفة للتاريخ.[2]

والملاحظ أن نطاق الاستشراق قد اتسع خاصة بعد انتهاء الحروب الصليبية، واستخدمه الغرب كمشروع اتصال ثقافي وصلة بين الشرق والغرب، غير أنه كان اتصالا من طرف واحد.

الاستشراق الذي يقصده **رضوان السيد** هو الاستشراق الحديث الذي يبدأ بقيام النهضة الأوربية، بعد أن تشرب الغرب من ثقافة العرب ما أراد، وبث في الاستشراق روحا جديدة للحفاظ على تلك الإيديولوجية التسلطية والاستعلائية، التي جعلت علماء الغرب يهتمون بالشرق لمواجهة الإسلام فحسب، وإنما لخلق الشرق وفهمه ودراسته؛ أي إعادة إنتاجه داخل الثقافة الغربية، ووفق مفاهيمها حول الآخر.

فقد ظهر مفهوم جديد للاستشراق هو الاهتمام بأحوال الشرق، والكشف عن عقليات شعوبه وأسراره ومزاج أهله، وحضارته، وتلمس مواضيع القوة والضعف لشعوبه توطئة لحملات التبشير وموجات الاستعمار.[3]

1- إدوارد سعيد، الاستشراق (المعرفة، السلطة، الإنشاء)، مرجع سابق، ص 71.

2- أحمد الشيخ، من نقد الاستشراق إلى نقد الاستغراب، حوار الاستشراق، المركز العربي للدراسات الغربية، القاهرة، د ط، 1999، ص 37-45.

3- رضوان السيد، ثقافة الاستشراق ومصائره، مجلة الفكر العربي، يوليو 1993، ص 08.

كذلك الشرق بالنسبة للغربيين شعراء وأدباء وروائيين أوربيين هو شرق متخيل، عالم سحري عجيب قائم من عوالم ألف ليلة وليلة الغرائبية.[1]

نخلص أنه على الرغم من سلبيات الاستشراق ومخاطره المتمثل في تذليل عقبات اكتشاف الآخر من نواح عدة، فهناك جملة من الإيجابيات مثل تنبيه الشرقيين إلى عظمة تراثهم الفكري، وقد حقق المستشرقون جزءا كبيرا من كتب التراث تحقيقا أمنيا.

وتحليل الكتابات الشرقية القديمة والكشوفات الأثرية، وقد ساعدهم في عملهم هذا كتابات الرحالة والمغامرين وتقارير القناصل ومذكرات الجنود وغيرها، ليتشكل من هذا كله نتاج فكري يتحرك داخل إطار العقل الاستشراقي.

2-2- الحملة الفرنسية على مصر عام 1798م: يعد كثير من المؤرخين أن حملة **نابليون** على مصر سنة 1798م مواجهة ثقافية بين الشرق والغرب أكثر منها عسكرية، وعدت كذلك لأنها جلبت معها وسائل تثقيفية ومصاحبات تقنية علمية جديدة، إنها صدمة الحداثة التي جعلت العرب يكتشفون أنهم ظلوا قرونا طويلة مغمضي الأعين، قانعين بالبقاء تحت ظل الدولة السنية التي حكمتهم وعزلتهم وأوهمتهم بأنها الأقوى وربما الأوحد في هذا العالم، ولم يفق العالم العربي من هذا الوهم إلا والاستعمار الغربي يقتحم معاقل بيوتهم، ويغير معالم حياتهم، ويستبدل بأنماط ثقافتهم التقليدية نمطه الأوربي.

والواقع أن هذه الحملة بما حملته من هذا وذاك، فقد ربطت إلى حد كبير بين الشرق والغرب، وكان من نتائجها تعريف الأنا الشرقية بنفسها من خلال مرآة الآخر والسالب في هذا الحضور، لأن الآخر الفرنسي المتمثل في العتاد العسكري والعلمي وفي المصاحبة الثقافية والاجتماعية والسياسية، والحملة الفرنسية كانت بمنزلة المرآة التي رأى بواسطتها الوعي القومي حقيقة ما وصل إليه عالمه وأدرك على نحو صادم أوضاع هذا العالم في علاقات تراثية جامدة، وانغلاقه الخامل، مقابل إدراكه تقدم الآخر الذي هزمه بما لا طاقة له

1- إدوارد سعيد، الاستشراق (المعرفة، السلطة، الإنشاء)، مرجع سابق، ص 215.

به من علم ومخترعات وعتاد وعلم، وأوضاع وعلاقات لا تعرف التقليد المتحجر والانغلاق الجاهل.[1]

ولقد كانت هذه الجملة عامل مباشر من عوامل التلاقي بين الشرق والغرب في أواخر القرن الثامن عشر، بهرت حكام مصر وشعبها، وقد كشف هذا لهم التحدي عن سوء واقعهم، وتنبههم إلى ضرورة تغير هذا الواقع إذا أرادوا المحافظة على كيانهم وحماية بلادهم من الغزو الأجنبي، كما أنه كشف لهم عن قوتهم التي ظهرت بوضوح في مقاومتهم المستمرة للحملة، وفي الوقت الذي تحطمت فيه القوة العسكرية للمماليك والأتراك في الجولة الأولى،[2] ومهما يكن لحملة **نابليون** على مصر من إيجابيات، فهي مغامرة من أشد مغامرات العصور الحديثة إثارة للمشاعر عبر قائد جيشها **نابليون** عن أهدافه وهي إزالة حكم المماليك.[3]

لكن هذه الحملة لم تكن كلها مهداة إلى الشرق لإخراجه من التخلف الذي كان يعيش فيه والجهل الذي ران عليه، ويشهد على ذلك المؤرخ **عبد الحمن الجبرتي** قائلا: "لما دخل الفرنسيون مصر غزاة فاتحين فأساءوا إلى الناس في معاشهم وعقائدهم ومقدساتهم، فكان للحملة الفرنسية فضائلها وأخطاؤها الشائنة الشائعة، مما أساء إلى البلاد حتى تمنى الناس التخلص منها بفارغ الصبر.[4]

وما نود الخلوص إليه أن الاتصال بين الشرق والغرب ابتداء من الحملة الفرنسية على مصر فجر العديد من القضايا في الثقافة والسياسة والاجتماع بصورة أكثر حدة في عصرنا هذا.

1- جمال مباركي، الغرب في الرواية العربية الحديثة، مرجع سابق، ص ص 60-61.

2- عبد المحسن طه، تطور الرواية العربية الحديث في مصر (1938-1970)، سلسلة الدراسات الأدبية، دار المعارف، القاهرة، ط4، 1994، ص 23.

3- صلاح الدين البستاني، صحف بونابرت (1798-1801)، ص 02.

4- عبد الرحمن الجبرتي، عجائب الآثار والتراجم والأخبار، تحقيق وشرح محمد جوهر وآخرون، مطبعة لجان البيان العربي، القاهرة، ج2، ط1، 1959، ص 10.

2-3- المثاقفة: المثاقفة تعني عملية التفاعل والتأثير والتأثر التي تحدث بين نمطين ثقافيين أو أكثر في لحظات تاريخية محددة ومختلفة، وفي مجالات متعددة وعلى مستويات عديدة كمستوى القيم والتصورات والسلوك ومنها المكتوب والمقروء.

ويمكن الاستفادة من عملية المثاقفة في تحقيق التقدم، من خلال ترجمة وتعريب جميع الثقافات، لأن للغة أهمية قصوى في الدفع والتأثر الحضاري، فالمثاقفة المقبولة لدى العديد من المفكرين هي التي تقوم على أساس من الثقة والاقتدار، بأوسع صيغها وأعمقها، وأشملها، دون الانجرار إلى التقوقع أو التبعية من أي نوع، لاسيما التبعية الثقافية، ولابد من شد أزر هذه المثاقفة بالحرية، لأن حرية العقل وتحريره الضمان للصمود في وجه الاستلاب.

الحوار

الحوار مطلوب في عملية التلاقح المعرفي والتمازج الحضاري، إذ عن طريق الحوار، سواء في شكله العلمي الذي يتخذ شكل الاحتكاك المباشر، أو عن طريق المؤتمرات والندوات والملتقيات الدولية التي تعقدها الجامعات والمعاهد ومختلف الهيئات، عن طريق هذا الحوار بكل أشكاله، تتصهر الحضارات بعضها في بعض، ويقع التأثير والتأثر والأخذ بالعطاء، ويتحقق التفاعل بين مكتسبات الشعوب الفكرية والعلمية وحتى الأخلاقية والسلوكية.[1]

ونستنتج أن كل من المثاقفة والحوار يساهمان في ربط الصلة بين الشرق والغرب، واللقاء بينهما والاحتكاك ببعضهما البعض عن طريق التفاعل والتداخل.

2-4- العولمة: تعد العولمة إحدى القنوات الهامة التي لم يسبق لها مثيل في تاريخ العلاقات العالمية باعتبارها فضاء مفتوحا للتلاقي والاتصال بين الشرق والغرب، إنه فضاء

1- إبراهيم محمود عبد الباقي، الخطاب العربي المعاصر -عوامل البناء الحضاري في الكتابات العربية، المعهد العالي للفكر الإسلامي، هرندن، فرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، ط1، 2008، ص 378.

اللامحدود الذي ينأى عن كل مراقبة يكون مصدرها الحدود الجغرافية للدول القومية أو الوطنية؛ فضاء سمته الانفتاح عبر العالم، عبر الكرة الأرضية جميعا.[1]

ويعرفها **رونالد روبرتسون** (Ronald Robertson) حيث يقول: العولمة تشير إلى العملية التي من خلالها تزداد إمكانية رؤية العالم كمكان أوحد، بالإضافة إلى الطرق التي تجعلها في حالة وعي بهذه العملية.

وفي هذا التعريف نقطتان هامتان: الأولى هي أن حركة العولمة غايتها جمع مناطق العالم المختلفة الأجناس والثقافات والسياسات، والمتباعدة جغرافيا في بؤرة واحدة، وهذا ما أشار إليه بعض الكتاب بالقرية العالمية أو الجوار العالمي، أما النقطة الثانية فهي إدراكنا لهذه الحركة ووعينا بحدوث العولمة أو أننا نتعولم.[2]

أما العولمة كما يقول **حسن حنفي** لها ثقافتها، وهي ثقافة غير مكتوبة، قيمها مبثوثة عبر الأقمار الصناعية والقنوات الفضائية، بل وعبر أساليب الحياة اليومية في الطعام والشراب والكساء والمواصلات والهاتف، ونظم التعليم وفرص العلم والمعرفة باللغات الأجنبية وطوابير الهجرة على أبواب السفارات الأجنبية للدول الصناعية؛ أي ثقافة التدويل.[3]

العرب وانسيابات العولمة

كانت العلاقات العالمية قبل وجود العولمة تقوم على أساس العلاقة بين الدولة وبقية دول العالم، أو بين الدولة والدولة الأخرى، أما في ظل العولمة فقد انهارت الدولة والأمة والهوية الوطنية والقومية، وأصبح التفاعل يتم مباشرة بين الفرد والعالم، متخطيا بذلك حدود القطر وحدود الدولة القومية، وهذا الانحسار للحدود هو أهم سمات العولمة، وتهشيم الحدود

1- ينظر: محمد عابد الجابري، قضايا في الفكر المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 1997، ص 136.

2- حسن حنفي وصادق جلال العظم، ما العولمة؟ مرجع سابق، ص 29.

3- جمال مباركي، الغرب في الرواية العربية الحديثة، المرجع السابق، ص 85.

الجغرافية أمام المد العولمي حل محله الترابط العولمي الذي كان له أثر على النسيج الاجتماعي والبنية الاقتصادية والسياسية والثقافية مس جميع أقطار العالم خاصة أقطار الوطن العربي الذي يتوفر على خصوصيات فكرية وثقافية تميزها عن الغرب.

ويمكن تجسيد هذه العلاقات بين الشرق والمد العولمي بما يسمى الانسيابات العولمية وهي بالتحديد، الانسياب البشري، والانسياب الثقافي والمعلوماتي وهو الذي يهمنا.

الانسياب الثقافي والإعلامي: يرى خبراء العولمة أن العالم قبل ظهورها كان منقسما إلى أصدقاء وأعداء، أما عالم العولمة فإنه يميل إلى التحويل، كل الأصدقاء والأعداء إلى متنافسين العدو قبل الحرب الباردة بين المعسكرين الشرقي والغربي وفي ظلها هو عدو تعرفه وتخشاه، أما في ظل العولمة فإنه الخوف يكون مع التغيير السريع، من عدو لا تستطيع أن تراه أو تلمسه أو تحسه. وإذا كانت العلاقات الدولية لنظام ما قبل العولمة هي المعاهدات فإن نظام العولمة يقوم على أساس التكامل.[1]

وعليه نستنتج أنه كما للعولمة سلبيات فلها إيجابيات أيضا، فقد ساعدت على اللقاء بين حضارتي الشرق والغرب وقربت المسافات بينهما.

المبحث الثالث: رؤى الأنا والآخر في الرواية العربية

تمتاز الرواية العربية منذ ظهورها في أواسط القرن التاسع عشر إلى يومنا هذا بتجسد ثنائية الأنا والآخر عبر مجموعة من الرؤى والأنماط والصور المتقابلة، سواء كانت سلبية أم إيجابية تترجم ثنائية الشرق والغرب، وثنائية الذكوة والأنوثة، وثنائية التقدم والتخلف، وثنائية العلم والجهل، وثنائية المادة والروح، ومن بين هذه الرؤى النمطية نذكر ما يلي:

الرؤية الانبهارية

1- جمال مباركي، الغرب في الرواية العربية الحديثة، مرجع سابق، ص ص 95-96.

نعني بالرؤية الانبهارية تلك النظرة الأولى للأنا وهي تتأمل منجزات الآخر المماثل أو المخالف، تلك النظرة الحائرة القائمة على الاندهاش والتعجب والاستغراب والانبهار بحضارة الغرب.

ومن النصوص الروائية العربية الأولى التي صورت جدلية الأنا والآخر من خلال رؤية انبهارية استعجالية واستغرابية.[1]

نستحضر رواية **رفاعة الطهطاوي** "تخليص الإبريز في تلخيص باريز"،[2] ويعتبر أول مبعوث الأصالة إلى المعاصرة، فهو التحول الحاسم في تاريخ الفكر المصري الحديث، وتبرز أهمية هذا الكتاب في استعراضه لمظاهر التمدن الفرنسي، وفي أنه أول كتاب عربي في العصر الحديث يعالج موضوع لقاء الشرق والغرب، من خلال طالب ذهب إلى أوربا.[3] فيصف جغرافيتها، ثم ينبهر بحضارتها وعلومها وفنونها وأنظمتها السياسية والدستورية والإدارية، ثم يعجب بسكانها وأخلاقهم ومنازلهم وصحتهم وتأنقهم وعاداتهم.

ويعني هذا أن العمل الأدبي الذي كتبه **رفاعة الطهطاوي** عبارة عن رحلة روائية تعليمية وتثقيفية تطرح رؤية انبهارية قائمة على تمجيد العقلية الفرنسية، مع الإشارة في نفس الوقت بالإحالة والتعريض والتلويح إلى تخلف العقلية الشرقية، وانحطاط الواقع العربي الإسلامي على جميع الأصعدة والمستويات.[4]

وهناك مؤلفون آخرون لديهم رؤية انبهارية مثل **عبد الرحمن بن حسين الجبرتي** في كتابه "عجائب الآثار في تزاحم الأخبار"،[5] وأيضا رواية **علي مبارك** "علم الدين"،[1] وهي

1- محمد رفعت، الآخر بين الرواية والشاشة، دار المعارف، القاهرة، ط1، 2010، ص 12.

2- رفاعة الطهطاوي، تخليص الإبريز في تلخيص باريز، القاهرة، ط1، 1843.

3- بوجمعة الوالي، الصراع الحضاري في الرواية العربية، بحث لنيل درجة الماجستير في الأدب العربي، إشراف واسيني الأعرج، جامعة الجزائر، 1993، ص 05.

4- محمد رفعت، الآخر بين الرواية والشاشة، مرجع سابق، ص 13.

5- محمد رفعت، الآخر بين الرواية والشاشة، مرجع سابق، ص 13.

تأخذ طابع رحلة سياحية إلى فرنسا للاغتراف من العلوم والمعارف والآداب الموجودة لدى الفرنسيين.

الرؤية النقدية الواعية :

بعد الرواية الانبهارية بتفوق الغرب والاعتراف بتقدمه علميا وفنيا وتقنيا في المرحلة الأولى من فترات القرن التاسع عشر الميلادي، نجد رؤية أخرى ستشكل روائيا وفنيا وإبداعيا في العقود الأولى من القرن العشرين وذلك مع جيل من الكتاب الذين سافروا إلى الخارج لطلب العلم، بيد أنهم لم ينبهروا بالغرب إلى درجة السذاجة السطحية والاستغراب الخارق الفاتن، وتنبهوا إلى أسباب تقدم الغرب ماديا وتقنيا وثقافيا وفنيا، وبالتالي كانت رؤيتهم للغرب على أنه رمز للحرية والعلم والتقدم والإشباع الغريزي لكل المكبوتات الظاهرة والدفينة.[2]

وهذا ما عبرت عنه الكثير من الروايات العربية بشكل واضح وجلي، كرواية "عصفور من الشرق"[3] **لتوفيق الحكيم**، "الأيام"[4] **لطه حسين**، "قنديل أم هاشم"[5] **ليحي حقي**، "الحب اللاتيني"[6] **لسهيل إدريس**، "موسم الهجرة إلى الشمال"[7] **للطيب صالح**.

ورواية "أديب" **لطه حسين** [8] ذات الطابع البيوغرافي التي تصور الصراع بين الشرق والغرب والتقابل بين عالم الكبت وعالم التحرر، ورصد التفاوت الملحوظ بين عالم التخلف وعالم التقدم، والمقارنة بين الانحطاط الحضاري والرقي المدني، وكان ينظر الأديب إلى

1- عبد الرحمن بن حسن الجبرتي، عجائب الآثار في التزاحم والأخبار تحقيق عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، مطبعة بولاق، دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر، ط1، 1998.

2- انظر: محمد رفعت، الآخر بين الرواية الشاشة، مرجع سابق، ص ص 14-15.

3- توفيق الحكيم، عصفور من الشرق، دار مصر للطباعة، القاهرة، طبعة 1988.

4- طه حسين، الأيام، دار المعارف، القاهرة، الجزء الأول، ط23، 1976.

5- يحي حقي، قنديل أم هاشم، دار المعارف، القاهرة، ط9، 1995.

6- سهيل إدريس، الحب اللاتيني، دار العلم للملايين، بيروت، طبعة 1953.

7- الطيب صالح، موسم الهجرة إلى الشمال، دار الآداب، بيروت، طبعة 1976.

8- طه حسين، أديب، دار المعارف، القاهرة، د ت.

مصر وزوجته حميدة بنظرة تغاير نظرته إلى فرنسا، فلم يأخذ الأديب من الغرب سوى القشور وسفاسف الأمور، والانغماس في ملذات الحياة، ومطالبها لذاتها، إلى أن فقد الحياة وصلته بأسرته السعيدة في مصر.

أما في رواية "الأيام" يستعيد طفولته بطريقة استرجاعية قائمة على التذويب والتذكر على أهم المحطات الحياتية التي كان لها تأثير كبير في نفسية الكاتب، فراح يرصد لنا في هذه الرواية حضارة فرنسا في ميادين العلوم والمعارف والآداب والفنون من خلال رؤية حضارية تقابل بين مدنية الغرب المتقدمة وتخلف العقلية الشرقية، وبالتالي يرى **طه حسين** أن الغرب هو مفتاح التقدم الحضاري والازدهار العلمي ومستقبل الحضارة المصرية.

أما **توفيق الحكيم** في روايته "عصفور من الشرق"، فقد صور هذه الرؤية الحضارية المتفاوتة بين شرق متخلف وغرب متقدم، إلا أنه يعتبر الغرب فضاء للماديات والتفسخ الأخلاقي، بينما الشرق على العكس من ذلك فهو رمز للروحانيات الظاهرة والقيم الدينية الفضلى والمثل العليا التي يصعب جدا تعيرها بالمعايير الكمية والمبادئ الاستعمارية،[1] وهو هنا يقارن بين الفكر المجرد والفكر المادي، بين المثل العليا ونقيضها التي تحلق في سماء الفلسفة المثالية والروحية وممارسات الإنسان وتجاربه ومواقفه، فكلما سما العقل بتفكيره المثالي، جذبته ممارسات الإنسان الخاطئة وأكاذيبه إلى دنيا الواقع.[2]

ومن جهة أخرى تصور رواية "الحي اللاتيني" **لسهيل إدريس** العلاقة بين الشرق والغرب عبر تشغيل جدلية الذكورة (الشرق) والأنوثة (الغرب)، ليطرح بوضوح دوافع هجرة الشاب العربي إلى الغرب، ويعترف **سهيل** دون عقدة عما ينشده هذا الطالب في السفر إلى باريس، إنها المرأة التي جاء باريس من أجلها والتي من خلال علاقته بها تتكشف عقلية الشاب العربي المحكومة بالقيم الاجتماعية السائدة والمسيطرة في الوطن العربي، وتطلع

1- انظر: محمد رفعت، الآخر بين الرواية والشاشة، مرجع سابق، ص ص 16-17.

2- حسين عليان، العرب والغرب في الرواية العربية، دار مجدلاوي للنشر، عمان، ط1، 2004، ص 189.

القارئ على أنه الحرمان كان وراء توجيهه نظرة الشاب العربي نحو الغرب، فلم يعد هذا الغرب بلدا للفن لكنه للمرأة.[1]

ويبدو هذا الاختلاف بمثابة صراع بين القيم المادية والقيم الروحية، صراع بين الدين والإلحاد، صراع بين الأخلاق والإباحية وصراع بين الرجولة الشرقية والأنوثة الغربية.

ويصادف أيضا جدلية الذكورة والأنوثة وثنائية الشرق والغرب والجهل والعلم أيما جلاء ووضوح في رواية **يحي حقي** "قنديل أم هاشم"، والتي تصور التقابل الحضاري المتفاوت بين العقلية الغربية والعقلية الشرقية من خلال التقابل بين شخصية (إسماعيل) الروحانية وشخصية (ماري) المادية.[2]

غير أن رواية "قنديل أم هاشم" تتقابل فكريا مع رواية "عصفور من الشرق" لتمثل الانبهار المضاد الذي يؤدي في رد فعله العنيف إلى النقيض المتطرف؛ أي العودة إلى التخلف.[3]

كما نجد جدلية الذكورة والفحولة والأنوثة (المرأة) في رواية **الطيب صالح** "موسم الهجرة إلى الشمال" الذي بين العلاقة المفارقة في الرؤية والسلوك، ورغبة كل منهما في التعامل مع الآخر، غير أن المفارقات وأشكال التقاطع بين الحضارتين تحول دون ذلك، بل تنتهي إلى الصدام والموت.[4]

وقد جسدت روايته هذه رؤية الصدام وصراع الحضارات وهو يبين روح العداء في العلاقة بين الشرق والغرب.

1- جورج طرابيشي، شرق وغرب رجولة وأنوثة – دراسة في أزمة الجنس والحضارة في الرواية العربية، دار الطليعة، بيروت، ط1، 1977، ص 83.

2- أنظر: محمد رفعت، الآخر بين الرواية والشاشة، مرجع سابق، ص 20.

3- بوجمعة والي، الصراع الحضاري في الرواية العربية، مرجع سابق، ص 11.

4- حسن عليان، العرب والغرب في الرواية العربية، مرجع سابق، ص 237.

ومن الروايات الأخرى التي تحمل رؤية حضارية وذلك من خلال التقابل بين الحضارة الشرقية والحضارة الغربية، رواية **سليمان فياض** "الأصوات"[1] ورواية **عبد المجيد بن جلول** "في الطفولة"[2] ورواية **ويوسف إدريس** "نيويورك" و"فتاة من هيل"[3] للكاتب السعودي **محمد عبد يماني** وروايات أخرى عديدة.

ومما سبق نستنتج أن هذه النصوص السردية كلها تندرج ضمن الرواية الحضارية التي تصور العلاقة الجدلية بين الشرق والغرب أو بين الشمال والجنوب.

الرؤية السياسية والحقوقية

نقصد بالرؤية السياسية والحقوقية تلك النظرة المبنية على تشخيص النظام السياسي لدولة ما، وتبيان طبيعة الحكم والدستور، ورصد علاقة الحاكم بالمحكوم سياسيا ومدنيا وعسكريا وحزبيا ونقابيا، وتشخيص الحالة السياسية للدولة، وتبيان وضعية الحريات العامة والخاصة وحقوق الإنسان.

ومن الروايات التي تحمل رؤية سياسية انتقادية تجاه هذه العلاقة الشائكة بين الشرق المتخلف والغرب المتقدم مدنيا وحضاريا،[4] رواية "شرق المتوسط"[5] للكاتب العربي المعروف **عبد الرحمن منيف**، والتي تصور (رجب إسماعيل) وهو منبهر بحضارة الغرب أيما انبهار، ومعجب بمدنيته أيما إعجاب، فيفتتن بسياسته العادلة وتشبثه بالديمقراطية الحقة وحقوق الإنسان، في حين يصف دول شرق المتوسط بالتخلف والاستبداد والبطش والقهر وقمع الذوات الداعية إلى ثورة التغير، لاسيما الذوات العضوية المثقفة الواعية.

1- سليمان فياض، أصوات، ط1، 1970.

2- عبد المجيد بن جلول، في الطفولة، دار النشر المعرفة، الرباط، ط1، 2005.

3- محمد عبد يماني، فتاة من هيل، جدة، تهامة، السعودية، ط1، 1980.

4- محمد رفعت، الآخر بين الرواية والشاشة، مرجع سابق، ص 23.

5- عبد الرحمن منيف، شرق المتوسط، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1981.

ونجد هذه الرؤية السياسية الانتقادية واضحة أيضا لدى الروائي المصري **صنع الله إبراهيم** في روايته "نجمة أغسطس"،[1] حيث يرصد جدلية الأنا والآخر، وذلك عبر المقابلة بين الإنسان المصري والآخر الروسي، كما يذكر العلاقات اللامتكافئة بين مصر وروسيا، وينتقد التصور الإيديولوجي الاشتراكي الزائف عبر نسيج حبكة غرامية بين البطل وعشيقته (تانيا).

أما الكاتب السوري **حنا مينا** في روايته "رحلة الربيع والخريف".[2] فينبهر بحضارة المجر، ويشيد بالتجربة الاشتراكية في هنغاريا، ويدين سياسة الاعتقال والقمع والفقر والتجويع في بلدان الشرق والاستبداد والقهر، ويقابل بين الشرق المتخلف الضائع والغرب الاشتراكي المتقدم من خلال تجربة عاطفية رومانسية بين الراوي هو (الخريف) وشخصية (يبوركسا) وهي الربيع.

الرؤية العدوانية

تستمد الرؤية العدوانية إلى اعتبار الغير أو الآخر مخالفا أو مقابلا للأنا أو الذات، وبالتالي فالغير يحاول تغريب الذات وإقصائها وتهميشها مع ممارسة العدوان والنبذ والحقد ضدها، فيصبح الغير هنا جحيما لا يطاق، لذا تنتقل العلاقة بينهما من مرحلة التعايش والسلام إلى محلة العدوان والصراع الجدلي، وهذه النظرة العدائية السلبية غالبا ما تفز حسب **هيجل** في حالة انتصار أحد منهما إلى ظهور ما يسمى بجدلية السيد والعبد.

وعليه، فالعلاقة بين الأنا والآخر لا تكون دائما علاقة إيجابية قائمة على الأخوة والمحبة والصداقة والتعايش، بل قد تكون علاقة سلبية قائمة على الكراهية والعدوان،[3] كما

1- صنع الله إبراهيم، نجمة أغسطس، دار المستقبل، القاهرة، ط1، 1974.

2- حنامينة، رحلة الربيع والخريف، الدار المصرية اللبنانية، ط1، 1980.

3- انظر: محمد رفعت، الآخر بين الرواية والشاشة، مرجع سابق، ص 25.

نجد ذلك في رواية **فدوى طوقان** "الرحلة الأصعب"،[1] والتي تحمل صوة عدائية للآخر مبنية على النبذ والاحتقار والازدراء. ومن هنا فنص **فدوى طوقان** "الرحلة الأصعب" هي سيرة ذاتية ذهنية يختلط فيها التاريخ بالأدب، والتوثيق المرجعي بالمعطى الأدبي والنقدي، كما أن هذه السيرة هي سيرة المقاومة والصمود والنضال والتوثيق للكتابة الأدبية بفلسطين المحتلة بعد نكسة حزيران 1967م.

وينطبق هذا الحكم على كثير من الروايات الفلسطينية، وخاصة روايات **غسان كنفاني** ولاسيما روايته الرائعة "عائد إلى حيفا"، وتظهر هذه الرؤية ايضا في واية "أمواج البحر"،[2] للكاتب **مصطفى شعبان**، والتي ترصد لنا صورة مغترب كان يحلم منذ صغره في المدرسة أن يكون طبيبا، وكافح الفتى وثابر في دراسته حتى تحصل على قسط من التعليم، ليجد نفسه في بلده بين أنياب البطالة والفقر وينخره الضياع والعبث واليأس واللاجدوى، وليس أمامه من حل سوى ركوب الموج وأخطاره للبحث عن لقمة الخبز في باريس للعمل والأمل والأحلام، ويعيش الفتي (رحال) انفصاما سيكولوجيا وانفصاما مزدوجا على المستوى الذاتي بسبب التمزق النفسي بين البر والبحر، وبين الأنا والغير، وهذا ما سيجعل هذه الرواية يغلب عليها المسرود الذاتي والمناجاة والمونولوج، ويمكن إدراجها ضمن الروايات النفسية أو المونولوجية القائمة على الصراع النفسي، والتآكل الذاتي، وتشظي الذاكرة، وتقاطع الذهن والوجدان، وصراع الأنا واللاشعور.[3]

وبناء على ما سبق، نسجل أن البداية الحقيقية للرواية العربية لم تتحقق إلا مع صدمة الحداثة التي استوجبت ثنائية الأنا والآخر، وقد وضحنا بأن هذه الجدلية الثنائية كانت ترد في النصوص السردية إما في مظهر قائم على الانبهار بالحضارة الغربية كما في الروايات الانبهارية والروايات السياسية والحقوقية، أو الاعتراف بتقدم الغرب ماديا وعلميا وثقافيا، مع

1- فدوى طوقان، الرحلة الأصعب، دار الشوق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1993.

2- مصطفى شعبان، أمواج البح، مطبعة ظريفة، بركان، المغرب، ط1، 1988.

3- انظر: محمد رفعت، الآخر بين الرواية والشاشة، مرجع سابق، ص ص 26-27.

الوعي بخصوصيات الشرق والمدافعة عن أصالته وقداسته الدينية والروحية كما في الكثير من الروايات الحضارية، وإما في مظهر سلبي قائم على العدوان والصراع الجدلي كما في الروايات الفلسطينية على سبيل الخصوص.

وقد تبين لنا أيضا بأن بداية رواية الأنا والآخر قد تحققت فعليا وتاريخيا مع مرحلة الانبهار بالحضارة الغربية، أو ما يسمى بصدمة الحداثة.

المبحث الرابع – ضرورة الحوار بين الحضارات :

قد كان البديل المنطقي للرد على نظرية صراع الحضارات وفكرة حوار الحضارات، فالحضارات تتحاور وتتفاعل ولا تتصادم، وأصبحت الحاجة ضرورية لبناء جسور التفاهم والتسامح والتعايش ومحاولة البحث عن حلول للإشكاليات التي تعترض سبيل الحوار الناجح وذلك لتجنب ويلات الصراعات والحروب التي تنذر بها نظرية الصراع، والتي تترك وراءها القتل والتشريد والتخريب، ويقول الله عز وجل «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ».[1]

مفهوم حوار الحضارات

هو التشاور والتفاعل الثقافي بين الشعوب والقدرة على التكيف مع الأفكار المخالفة والتعامل مع جميع الآراء الثقافية والدينية والسياسية.[2]

نشأته

إن أول ما بادر بفكرة الحوار بين الحضارات المفكر الفرنسي **روجيه غارودي** الذي دعا إلى تأسيس أرضية للتفاهم بين شعوب الأرض وذلك من خلال كتابه الذي صدر عام 1977م تحت عنوان "من أجل حوار بين الحضارات".[1]

1- سورة الحجرات، الآية 13.

2- http//ar.wikipedia.org بتاريخ: 2016/12/03 على الساعة 22.08

أهدافه

1- الإدراك المتقابل والتعرف إلى آراء باقي الأقوام وأفكارهم، والتأثير في الآخرين.

2- معرفة الذات بشكل أفضل، وإعادة بناء الذات والهوية.

3- معرفة المشكلات المختلفة على المستوى العالمي وحلها.

4- المشاركة في تحديد مصير البشر، المواجهة المشتركة للأخطار التي تهدد البشرية من جراء تأثيرات الأبعاد المختلفة للحداثة، والصناعة والتكنولوجيا.

5- تقليل المنازعات والصراعات الدولية وإلغائها (الحوار وآراء الطاولات بدل من القتال في الساحات).

6- إزالة سوء الظن، الشبهات، الخوف المتوهم الناشئ عن عدم الإدراك الحقيقي لبعضنا البعض وسوء التفاهم.

7- تأصيل السلام والأمن والتفاهم والهدوء، على المستوى العالمي.[2]

نستنتج في الأخير أن حوار الحضارات ضرورة ملحة وقضية بشرية وقيمة كونية جامعة، كالحرية الديمقراطية وحقوق الإنسان، ولو أن العالم استسلم للعنصرية والغاشية والأنظمة المغلقة المستبدة لما تنعمت الإنسانية بما تنعم بها اليوم من رخاء وتقدم تقني وعلمي، وإنجازات في مجالات الصحة والتعليم والاقتصاد وغيرها من المجالات.

ومجمل القول، لقد حاولت في هذا الفصل تتبع أهم العلاقات التي كانت تجمع بين الشرق والغرب من تاريخية وثقافية والصراع الذي دار بينهما، وأهم الرؤى في رواية الأنا والآخر التي كانت تدور بين صراع ولقاء، ثم ضرورة حوار الحضارات للحد من هذه

1- نص جولي، حوار الحضارات –المبادئ والأهداف، مجلة آفاق الحضارة الإسلامية، شمار (15)، 2010.

2- www.maber.org بتاريخ 2016/12/30 على الساعة 20:15

الصراعات وفوائد هذا الحوار التي تبشر بمستقبل زاهر بعيدا عن الصراع والعداء ويقرب بين الحضارات.

الفصل الثاني
رواية واحة الغروب لبهاء طاهر وتشكلات الصراع فيها

المبحث الأول: دراسة لتقنيات الرواية

1 . موضوع الرواية

2 . الشخصيات

3 . الأحداث

المبحث الثاني: الصراع في رواية واحة الغروب

1. الصراع النفسي

2 . الصراع الاجتماعي

3 . الصراع السياسي

4 . الصراع التاريخي

5 . الصراع الثقافي

6 . الصراع الديني

المبحث الأول: دراسة لتقنيات الرواية

1- موضوع الرواية:

تنقلنا الأحداث التاريخية لزمن الاستعمار الإنجليزي لمصر وأيضا للتاريخ العريق لمصر من خلال مساءلة الحفريات الأركيولوجية من خلال زوجة المأمور كاثرين الايرلندية الجنسية المتخصصة في علم الآثار، وأيضا للضابط المصري الشاب وصفي الذي أرسلته السلطات لدعم المأمور في مهمته الأمنية، كاثرين عالمة آثار ورثت من أبيها الباحث في الآثار أيضا حبه للثقافات الشرقية، التي زرعها في نفسيتها منذ طفولتها ؛هذا الحب للآثار جعلها ترافق زوجها بهدف زيارة المعابد الموجودة هناك وتعميق الأبحاث التي سبق أن قامت بها حول الحضارات القديمة.

نقل لنا المؤلف تاريخ مصر القديم وتشابكه مع اليونانيين من خلال شخصية الإسكندر الأكبر الذي تمكن من بسط نفوذه بقوة السلاح وأيضا بقوة الفكر الكهنوتي المسيطر آنئذ، امتد ليشمل نصف الكرة الأرضية كما تذكر الرواية ولا زالت مدينة الإسكندرية شاهدة على ذلك كما تشير الأحداث إلى المعابد التي أصابها الإهمال إلى أن تداعت واندثرت علما أنها تحمل معطيات أركيولوجية من شأنها تقديم معلومات تاريخية ذات أهمية قصوى.

وعليه ثمة فراغات لا زالت لم نجد جوابا لفرضيات ستبقى معلقة إلى حين،تؤرق بال بهاء طاهر وجعلته يلح في الإشارة إليها من خلال الكثير من المقاطع التي ذكرها في الرواية.

2- الشخصيات

يمثل مفهوم الشخصية عنصرا محوريا في كل سرد،حيث لا يمكن تصور رواية بدون شخصيات فهي"مجموعة من الصفات الظاهرة على المرء وبفضلها يتميز كل شخص عن

غيره من الأشخاص،وهذا ما جاء أيضا في قاموس السرديات بأنها كائن له سمات إنسانية ومتحرك في أفعال إنسانية".[1]

أنواع الشخصيات في الرواية

الشخصيات الرئيسية: هي الشخصيات البطلة التي يقوم عليها العمل الروائي،وهي "الشخصيات الفنية التي يصنفها القاص لتمثل ما أراد تصويره أو ما أراد التعبير عنه من أفكار".[2]

والشخصيات التي قامت بهذا الدور في الرواية هي:

شخصية محمود عبد الظاهر

هو بطل الرواية ؛يمثل شخصية الشرقي ذو الوجه المصري الطيب الذي امتثل لأوامر الإنجليز الذين يمقتهم،وهو أول شخصية تظهر في بداية الرواية وكذلك آخر شخصية تختتم بها ففي البداية حين "ذهب إلى النظارة لاستلام مهمة نقله إلى سيوة".[3]كل الأحداث كانت مرتبطة به،وتغيرت بتغير مسار حياته ويتضح لنا من خلال الطريقة التي اتبعها الكاتب في تقديم شخصية محمود أنها شخصية نامية ومتطورة إذ تتغير مع الأحداث طرأت منذ وصوله إلى واحة سيوة "بدأت فكرة الموت تتسلل إلى أفكاره"،[4]وتتأزم نفسيته مع مرور الوقت "نتيجة العداء الذي تلقاه من الواحة"،وفي نفس الوقت أصابته الحيرة "جراء الفقر الذي رآه في الواحة،وضخامة الضرائب التي سيدفعها سكان الواحة".[5]

([1])– جراند برنس، قاموس السرديات، تر، سبيد إمام، مرين لنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، د س، ص30.

([2])– شريط أحمد شريط، تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ط1، 1998، ص32.

([3])– بهاء طاهر، واحة الغروب، دار الشروق، القاهرة، ط1، 2008، ص09.

([4])– المصدر نفسه، ص29

([5])– المصدر نفسه، ص78.

هنا تظهر شخصية محمود الوطني المحب لأبناء وطنه" بإرساله رسالة للنظارة من أجل تخفيض الضرائب عن أهلها رغم معرفته أنهم يكنون العداء له".[1]

وشخصية محمود عبد الظاهر هي شخصية شجاعة بشهادة من زوجته كاثرين "أعرف الخطر الذي ينتظره ولكن محمود ليس جبانا سيؤدي واجبه هناك مثلما اعتاد طول حياته".[2]

وتظهر شخصية محمود عبد الظاهر العدائية عندما يمس شرفه فيثور"على الفتاة مليكة محاولا قتلها".[3]

هذه الواحة غيرت كثيرا في معتقدات محمود عبد الظاهر نتيجة كثرة الخيانات التي تعرض لها في الماضي من صديقه طلعت وجاريته نعمة وفي الحاضر من كاثرين ووصفي،وزاد تأزمه حين تعرف على فيونا شقيقة كاثرين العليلة.

فبهذا التغير كانت شخصية عبد الظاهر متطورة ونامية.

شخصية كاثرين

هي زوجة محمود عبد الظاهر الأيرلندية الجنسية، تمثل الشخصية الغربية المثقفة المطلعة على أمجاد الشرق والشغوفة بالبحث عن الآثار الموجودة في واحة سيوة، وهو "الحلم الذي راودها منذ صغرها" [4] مما جر عليها وعلى زوجها غضب أهل الواحة.

كاثرين هي شخصية متمردة ومغامرة تسعى لمعرفة التاريخ أولا وأخيرا قوبلت كمستعمرة أجنبية لا تحترم عادات السكان من خلال تنقلها في الواحة واقتحامها للمعابد الأثرية،المحاطة بهالة من الخرافات والأساطير ورغم جهودها في التواصل معهم ظل موقفهم

([1])– بهاء طاهر، واحة الغروب المصدر السابق، ص78.

([2])– المصدر نفسه ، ص21

([3])– المصدر نفسه، ص156.

([4])– المصدر نفسه، ص21.

منها سلبيا،عنوانه النفر والصد مهما كان ؛وظل بحثها عن الآثار بحثا نسبيا ولم تتوصل إلى حقيقة ثابتة عن وجود مقبرة تاريخية في واحة سيوة.

الشخصيات الثانوية

أو الشخصية المساعدة وهي التي "تشارك في نمو الحدث القصصي وبلورة معناه والإسهام في تطوير الحدث،ويلاحظ أن وظيفتها أقل قيمة من وظيفة الشخصية الرئيسية".[1]

ومن أمثلة ذلك في الرواية:

شخصية الشيخ صابر: تمثل شخصية الشيخ صابر انتهازي الواحة،وقائد الأجواد الذي لا يحلم سوى بتدمير أعدائه من قومه ومن المصرين جباة الضرائب،وهو "يريد الثأر جراء الرعب الذي أصابه وهو صغير".[2]

وشخصية صابر هي شخصية قوية "لا يرضى بأن يقال عنه أنه ضعيف أو عاجز"،[3] وكذلك شخصية مثقفة وفي نفس الوقت يؤمن بالخرافات وهذا نتيجة "تأثره بالنبوءات التي تعلمها"،[4] ويظهر الشيخ صابر بشكل بارز في الرواية على أنه خائن لوطنه وأهله عندما "تآمر مع الضابط الشركسي وصفي"،[5] من أجل الإطاحة بمحمود عبد الظاهر وظفر بمنصبه.

ومن هنا ندرك أن شخصية الشيخ صابر هي شخصية انتهازية وخائنة للوطن ومتنكر لأهله وعشيرته.

([1])– شريط أحمد شريط، تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية، ص32.

([2])– بهاء طاهر، واحة الغروب، مصدر سابق، ص162.

([3])– المصدر نفسه، ص163.

([4])– المصدر نفسه، ص164.

([5])– المصدرنفسه، ص165.

شخصية الشيخ يحيى: هو عاقل الواحة وزاهدها وهو مناقض لشخصية صابر العدائية،هو قائد الغربيين في قرية أغورمي.[1]

كان معاديا لنبوءات صابر ويتذمر منها،وهو خال مليكة التي تتفجر بسببها بؤرة الأحداث.

شخصية يحيى دائما ضعيفة وترضخ للهزيمة والابتعاد عن الاعتراف بالحق،[2]لكنها شخصية مثقفة بالإضافة إلى كونه يداوي بعض الأمراض الشائعة في الواحة،فقد عالج الشاويش إبراهيم وفيونا شقيقة كاثرين،هي على العموم شخصية مسالمة ومحبة للخير.

شخصية الإسكندر الأكبر:هو شخصية تاريخية معروفة،خاض معارك طاحنة في معظم بقاع العالم إلى غاية وصوله إلى مصر ليتوج ابنا لإلههم آمون كما كانت تلقبه أمه وتعتقد،ليصبح بطلا أسطوريا خارقا، هذه الشخصية هي مرآة لشخصيات أساسية بالذات شخصية محمود،مرآة لتيمات موجودة في الرواية الخيانة، الطغيان، الاحتلال، فهذه الشخصية مزيج من التناقضات؛ يبني ويهدم كأنه يمنح الحياة ويسلبها.

تنتهي هذه الشخصية إلى نفس ما انتهت إليه شخصية محمود عبد الظاهر،فبهاء طاهر أراد أن يبين لنا أن كلتا الشخصيتين متوازيتين،وقد التقتا في هذه الواحة وقدر لهما أن تكون ملاذهما الأخير.[3]

مليكة: هي أرملة تعكس التمرد على العادات الخرافية البائدة تحمل وزر خرافة،"يحكم عليها بالعزل تجنبا لنشر ما يعتبر نجسا في البلدة،وتحوط بها هالة الموت بعد وفاة زوجها"،[4] وهي الشابة التي قتلت بسبب خرقها لأعراف القبيلة وتمثل تلك النقطة من الضوء في محيط متخلف عن ركب الحداثة.

([1])–بهاء طاهر، واحة الغروب، المصدر السابق، ص59.

([2])– المصدر نفسه، ص72.

([3])– المصدر نفسه، ص105.

([4])– المصدر نفسه، ص 159.

نعمة: هي الشخصية التي ترمز إلى الشرق وحضارة بلاد النيل،[1]والمرأة التي أحبها محمود ولم يحب سواها،[2]وهي كذلك الحظ الذي يؤتى للإنسان مرة واحدة في العمر إما أن يقتنصه أو ينفلت منه.

فيونا: شقيقة كاثرين وهي الوجه الآخر للغرب فهي شخصية طيبة كانت تلقب بالقديسة لقيمها الإنسانية التي تتميز بها،وكذلك بروحها الخيرة،جاءت للواحة من أجل الاستشفاء من مرض أصابها،استطاعت بفضل شخصيتها أن تكسب ود كل من هم في الواحة.

إبراهيم: الشخصية المرافقة لمحمود في الواحة،وهو الذي لا يزعجه سوى عجزه عن توفير لقمة العيش لأحفاده الذين التهمت الكوليرا آباءهم.

تظهر شخصيته أيضا عندما أنقذ الطفل محمود وأنجاه من الموت،فكانت هذه الحادثة الصلة التي جعلت أهل الواحة ينقصون ذلك العداء الذي يكنونه للمأمور.

طلعت: صديق محمود عبد الظاهر وهو يمثل الشخصية الخانة الذي ضحى بصديقه عند أول فرصة سنحت له.

مستر هارفي: رئيس أحد مسؤولي السلطة الاستعمارية له خبرة في توطيد الاستعمار لأنه غالبا ما يتحدث عن مستعمرات إفريقيا وآسيا،ينصح محمود بالتحالف مرة مع الشرقيين ومرة مع الغربيين.

وصفي: هو ضابط من أصول شركسية يعمل في النظارة، بعث إلى الواحة كعميل لتجسس على محمود،فكان ثاني شخصية خائنة قابلها محمود.

([1])– بهاء طاهر، واحة الغروب، ص83.

([2])– المصدر نفسه، ص85.

3- الأحداث:

تعد الأحداث من أهم عناصر البناء الروائي وهي "مجموعة من الأفعال والوقائع مرتبة ترتيبا سببيا تدور حول موضوع عام،وتصور الشخصية وتكشف عن أبعادها وهي تعمل عملا له معنى،كما تكشف عن صراعها مع الشخصيات الأخرى،وهي المحور الأساسي الذي ترتبط به باقي عناصر القصة ارتباط وثيقا".[1]

من خلال تتبع أحداث رواية واحة الغروب نجدها أنها تبدأ من المهمة التي أسندت إلى محمود عبد الظاهر بقرار نقله إلى واحة سيوة،فراح صديقه الأمير آلاي سعيد ينصحه"بعدم اصطحاب زوجته معه،لأن الرحلة ليست بالسهلة والمهمة نفسها صعبة".[2]

غير أن بعض الزملاء أسعدهم الإفلات من هذه المهمة وحدثوه عن "قوافل عديدة تاهت في الصحراء وابتلعتها الرمال"،[3] أما زوجته كاثرين فقد تحمست للرحلة بشكل غير طبيعي.

الحدث الثاني: وصول محمود وكاثرين إلى مشارف واحة سيوة "فتترامى الصحراء أمام عينيهما ولا شيء فيها غير الرمال والكثبان والأحجار"،[4] وفي أثناء رحلتهما هبت ريح هوجاء كادت أن تؤدي بحياتهما،فراح محمود يتذكر الميدان الذي شهد المجد والفرح يتذكر عرابي فوق حصانه،ونعمة السمراء التي كان يبحث عنها منذ زمن،وكذلك صديقه الذي خانه ووشى به وشهد ضده زورا.

الحدث الثالث: قرار إبلاغ محمود سكان واحة سيوة بدفع الضرائب وهذا دفعهم إلى تشديد الصراع بينهم وبين محمود.

([1])- سمراء قفي، البنية السردية في رواية عائد إلى حيفا لغسان كنفاني، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر تخصص أدب عربي حديث، جامعة محمد بوضياف المسيلة، 2014-2015، ص92.

([2])- بهاء طاهر، واحة الغروب،مصدر سابق، ص09.

([3])- المصدر نفسه، ص10.

([4])- المصدر نفسه، ص23.

مازاد الطين بلة هي كاثرين التي بدأت رحلتها في التجول بين بيوت الواحة،وفي المعابد المحيطة بها، أدى هذا إلى زيادة حدة الصراع بينها وبين أهل الواحة.

الحدث الرابع: الصراع الذي حدث بين العشيرتين من أجل مليكة ابنة أخت الشيخ يحي وهروبها من زوجها معبد.

الحدث الخامس: الجولات اليومية التي تقوم بها كاثرين في المعابد للبحث عن قبر الإسكندر الأكبر وفشل كل محاولات كاثرين من التحاور مع أهل الواحة،فهم يرفضونها بشدة لأنها على غير ديانتهم.

الحدث السادس: هو الحديث عن تاريخ الإسكندر الأكبر وكيف جاء إلى مصر والحروب التي خاضها وكيف نصبه المصريون فرعون مصر وابن آمون،وكيف سيطر على الواحة لينتهي به في الأخير إلى الانتحار.

الحدث السابع: استمرار أزمة محمود النفسية وكرهه لهذه الواحة"أزمتي؟تسألني كاثرين عن أزمتي أسأل أنا نفسي"،[1] وما زاد أزمته هو الحدث الذي وقع لإبراهيم جراء "سقوط الحجر عليه في المعبد وكاد يؤدي إلى بتر رجله لولا مساعدة أهل الواحة له".[2]

الحدث الثامن: هو خروج مليكة من البيت وذهابها إلى بيت كاثرين والصراع الذي حدث بينهما جراء عدم فهم كاثرين لمليكة وماذا تريد منها بالإضافة إلى محمود الذي كاد أن يقتلها حين وجدها تتشبث بكاثرين ظنا منه أنها تريد قتلها "فأشهر مسدسه نحوها".[3]

هذه الحادثة أدت إلى موتها من طرف أهلها وحدوث صراع بين محمود وأهل الواحة جراء ذلك.

([1])– بهاء طاهر، واحة الغروب، المصدر السابق، ص127.

([2])– المصدر نفسه، ص133.

([3])– المصدر نفسه، ص154.

الحدث التاسع: وصول فيونا أخت كاثرين إلى الواحة برفقة الضابط الشركسي وصفي وذهابه إلى القسم وإبلاغ محمود بوصول فيونا إلى البيت،[1] وقد جاءت من أجل الاستشفاء من مرض أصابها ولم تجد له علاج فلجأت إلى الواحة لأجل ذلك،فقدوم فيونا إلى الواحة صعب مهمة محمود بالإضافة إلى كاثرين وجمع الضرائب "يجب أن أعيد الأختين بأسرع ما يمكن".[2]

الحدث العاشر: أزمة فيونا مع المرض ومساعدة الشيخ يحيى لها فقد قام بإرسال زجاجة زيت لها "ينصح أن تدهن بها صدرها وتغطيه بالصوف طول الليل وأن تتناول الشراب في الصباح"،[3]لكن هذا لم يساعدها في الشفاء،ما زاد من معاناة محمود الذي تعلق بها وأحبها لأنه يرى فيها صورة نعمة التي لم تغب عن خياله.

الحدث الحادي عشر

توصل كاثرين إلى وجود بعض الإشارات على وجود قبر الإسكندر الأكبر في الواحة،وقد ورد في الرواية قولها"الإشارة الدليل قلت لك هذه الليلة الأمس لكنك لم تنتبهي".[4]

الخيانة الثانية التي تعرض لها محمود عبد الظاهر من الضابط وصفي ويكتشف ذالك من خلال البرقية التي وصلته"ويؤكد معاليه ثقته بوصفي أفندي ويطلب أن يستمر في اتصالاته مع شيخ الشرقين صابر الذي يطمح إلى منصب العمدة".[5]

الحدث الثاني عشر: تأزم حالة محمود النفسية بعد كل هذه الخيانات بالإضافة إلى قرب موت فيونا، وحب كاثرين للآثار وتعلقها بهم جعله يريد الابتعاد والانتحار والهروب من هذه

([1])– بهاء طاهر، واحة الغروب المصدر السابق، ص188.

([2])– المصدر نفسه، ص188.

([3])– المصدر نفسه، ص217.

([4])– المصدر نفسه، ص279.

([5])– المصدر نفسه، ص275.

الحياة "لا شيء يصلح في هذه الدنيا الغلط هو إلا الغلط"،[1] فقام بإحضار الديناميت واتجه للمعبد"فأشعلت طرف الفتيل الممتد من أسفل الصرح ووقفت أنتظر... انفجارات ومطر من الأحجار تتطاير في الفضاء كنت أتمناها نارا تشعل المعبد كله "،[2] فارتطم حجر برأسه فسقط أرضا،"فجأة توهج نور في داخلي نعم الآن يمكن أن أرى كل شيء أن أفهم كل ما فاتني في الدنيا أن أعرفه"[3]، فبسماع الشاويش إبراهيم دوي الانفجار ركض مسرعا إلى المعبد لكن بعد فوات الأوان، يقول محمود لإبراهيم "شكرا لأنك تأخرت".[4]

المبحث الثاني: الصراع في الرواية

كثيرة هي الروايات العربية التي تناولت الصراع الحضاري في الآونة الأخيرة بأشكاله سواء النفسي منه أو الاجتماعي أو السياسي أو التاريخي أو الثقافي أو الديني،كما تناولت العلاقة بين الشرق والغرب والاغتراب الذي يعانيه الفرد العربي في الغرب وهذا راجع لاختلاف العادات والدين،ونمط المعيشة والتفكير ورؤية العالم.

ومن الروايات العربية المصرية التي تناولت الصراع الحضاري في الرواية هي: رواية واحة الغروب لبهاء طاهر،التي هي موضوع بحثنا وسنحاول الكشف عن أشكال الصراع الموجود فيها بدءا بالصراع النفسي ثم الاجتماعي ثم السياسي بعدها التاريخي والثقافي والديني.

1- الصراع النفسي

يعد بهاء طاهر من الروائيين المصرين الذين أدركوا أهمية الجانب النفسي في تكوين الشخصية الروائية،وبنائها وهذا ما جعله يستعين كثيرا بالحوار الداخلي؛ولو أتينا إلى تعريف الصراع النفسي لقلنا "هو تعرض الفرد لقوى متساوية تدفعه باتجاهات متعددة مما تجعله

([1])- بهاء طاهر، واحة الغروب، المصدر السابق، ص284.

([2])- المصدر نفسه، ص286.

([3])- المصدر نفسه، ص287.

([4])- المصدر نفسه، ص283.

عاجزا عن اختيار معين، يترتب عليه الشعور بالضيق وعدم الارتياح كذلك حالة القلق وهذا ناتج عن صعوبة اختياره أو اتخاذ القرار بشأن الاتجاه الذي يسلكه".[1]

ويظهر هذا النوع من الصراع من خلال الرواية في نفسية البطل محمود عبد الظاهر الذي يمثل الطبقة البورجوازية الصغرى التي تتميز بالتذبذب في المواقف وعدم القدرة على الحسم فيقول "المشكلة هي أنت بالضبط يا حضرة الصاغ لا ينفع في هذه الدنيا أن تكون نصف طيب ونصف شرير، نصف وطني ونصف خائن...".[2]

بسبب ما لا يواصل محمود ما شرع فيه بحماس لكن يتردد في المنتصف وتاليا يخسر الكثير مشدودا هو إلى أكثر من اتجاه، وتزداد أزمته وإحساسه بالهزيمة والعجز سواء أثناء الرحلة أو لدى قيامه بمهمته في الواحة،يكره نفسه ثم مرة أخرى يشله عجزه عن الثورة ضد ما لا يريد يطارده الماضي وهو في قلب الصحراء،بآلامه و أحزانه وشخوصه، يقول محمود "لكن لا مهرب من الوجوه التي تزحم الفضاء وترفض وجودها فجأة على غير انتظار يطل أبي... يهاجمني بالوجه الكسير بعد هزيمته يظهر أخي سليمان الذي غاب عني من زمن... أرى وجه نعمة السمراء ويطفوا وجه طلعت زميلي وصديق الشباب ويطن في أذني صوت المدافع".[3]

أما كاثرين هي الأخرى تعيش صراعا نفسيا جراء ما يمر به محمود تقول"في كل لحظة تحمل لي هذه الصحراء جديدا ولكن محمود هو الذي يفاجئني يقول إن الصحراء تنتشر داخل نفسه ليت هذا كان صحيحا ما أغناها هذه الصحراء...".[4]

ورغم كل هذه الصعاب التي تمر بها مع محمود إلا أنها تجد له المبررات "ربما أنا التي أعجز عم فهم ما يهتم به لكني حاولت فهذا هو الرجل الذي أعشقه".[1]

([1])– أديب الخالدي، المرجع في الصحة النفسية –نظرة جديدة، در وائل للنشر، عمان، ط1، 2009، ص 124.

([2])– بهاء طاهر، واحة الغروب، مصدر سابق، ص235.

([3])– المصدر نفسه، ص56.

([4])– المصدر نفسه، ص50.

محمود رغم كل الصعاب النفسية التي تمر به إلا أنه يخاف على الآخرين يقول" غير أني أفكر الآن في كاثرين ماذا لو أصابتها هي الرصاصة ماذا لو سقطت بدلا مني...".[2]

وهذا ما زاد تأزمه وخاصة عندما كانت تخرج إلى الواحة باحثة عن الآثار.فيقوم بسجنها في البيت فكاثرين تحس بالعزلة النفسية جراء ذلك تقول" إنه يجب كسر هذه العزلة قبل أن يصيبني الاكتئاب...".[3]

ويظهر الصراع أيضا عندما قامت كاثرين بتعنيف مليكة هي ومحمود وقاما بطردها.

فهذا حز في نفسية كاثرين تقول "بمنتهى الصعوبة خرجت من هذه الأزمة سجنت نفسي أياما بعد أن سمعت بموتها لا تفارقني صورتها ولا يفارقني حزني...".[4] كاثرين ترى أنها هي السبب في موتها وهذا سبب تأزمها.

هذا الصراع النفسي قد لحق محمود إلى آخر لحظة في حياته حيث يقول "سامحيني يا مليكة، كنت أشجع مني، وسامحيني يا فيونا لأني لم أنتظر،وسامحني يا إبراهيم فها أنا أسبقك كما وعدتك،الأحجار تسقط حولي لا فوقي... لا أنا آت جاريا إلى داخل المعبد".[5]

أما الشيخ يحي فيعيش صراعا نفسيا جراء عدم مساعدة ابنة أخته مليكة وعجزه عن إقناع أهل الواحة بالابتعاد عنها يقول "مرة أخرى لم أستطع لك شيئا يا مليكة، لم يستطع خالك أن يحميك طفلة ولا امرأة".[6]

تأزمت حالته أكثر أثناء سماعه نبأ موتها فاعتزل الناس جميعا بسبب هذه الحادثة.

2- الصراع الاجتماعي

([1])- بهاء طاهر، واحة الغروب، المصدر السابق، ص50.

([2])- المصدر نفسه ، ص90.

([3])- المصدر نفسه، ص90.

([4])- المصدر نفسه، ص208.

([5])- المصدر نفسه، ص286.

([6])- المصدر نفسه، ص72.

يعتبر الصراع الاجتماعي من الصراعات التي تكون بين المجتمعات فهو"عملية اجتماعية تحدث عن قصد وتعتمد بين فردين أو أكثر أو بين الجماعات أو الطبقات في المجتمع الواحد متمثلا في الصراع بين العمال وأصحاب رؤوس الأموال أو بين الفلاحين والإقطاعيين أو بين الأحزاب السياسية أو بين المجتمعات بعضها البعض".[1]

ويظهر الصراع الاجتماعي في رواية واحة الغروب جليا وواضحا ومتعددا:

2-1- الصراع الطبقي

هذا الصراع قد يكون في المجتمع أو بين الحضارات ففي المجتمع هناك طبقة غنية هي الطبقة المالكة للجاه والمال أو هي الطبقة العليا،وطبقة فقيرة معدمة والأخيرة في الترتيب الاجتماعي؛ ونجد هذا في الرواية من خلال التباين الموجود بين سكان أهل الواحة فهناك الزجالة والأجواد وقد وردت هذه الطبقية في قول الكاتب"إنني سأتعامل فقط مع رؤساء العائلات الذين يسمونهم في الواحة الأجواد...لا شأن لي بالفلاحين...فأذكره الزجالة ماداموا راضين عن هذا النظام".[2]

وهذا يبين أن هناك تمايز بين الأجواد والزجالة،وهذه الطبقية تظهر أيضا في قول المستر هارفي "إسبرطة كانت مدينة لإنتاج العسكر يدربون الأطفال منذ الصغر ليصبحوا جنودا ويعزلونهم عن سكان المدينة...وهؤلاء الزجالة أيضا مجندون للعمل في فلاحة الأرض حتى سن الأربعين".[3] فكأن المستر هارفي يشير من خلال هذه المقارنة إلى أن المجتمعات على خلافها تعين من عليهم العمل في خدمة المجتمع ومن الذين هم في القمة، وقد كان الزجالة أيضا لا رأي لهم أمام أسيادهم من الأجواد ويظهر ذلك في قول الكاتب "تحشم يا ولد يا

(1)- حسن عبد الحميد أحمد رشوان، الأسرة والمجتمع، دراسة على اجتماع المرأة، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر، ط1، 2003، ص146.

(2)- بهاء طاهر، واحة الغروب، مصدر سابق، ص11.

(3)- المصدر نفسه، ص11.

مبروك نحن دعوناك إلى مجلسنا لنسمع ما عندك لا لكي تشير على شيوخك فلا تنسى مكانك"،[1] وهذا يدل على أن سكان أهل الواحة الأجواد يتعاملون مع الزجالة بازدراء.

و محمود الذي أراد أن ينتقم لزوجته كاثرين من مليكة التي اعتدت عليها رغم علمه أنها ليست في وعيها وأنها مجنونة وقد ورد ذلك في قول بهاء طاهر "لا بد أن أثأر ممن اقتحمت بيتي واعتدت على امرأتي طفلة أو كبيرة،مجنونة أو عاقلة غولة أو ملاك أنا لا أستطيع أن أغفر هذا"،[2] وهذا يدل على جبروت محمود باعتباره يمثل السلطة فهو يمارس هذا الحق على أهل القرية المساكين ولا يفرق بين مجنونهم وعاقلهم.

2-2- الصراع بين الأفراد

إن الصراع بين الأفراد هو جانب طبيعي من جوانب الحياة وذلك راجع لعدة أسباب من بينها قلة التواصل واختلاف الأفكار ووجهات النظر، وقد جسد بهاء طاهر هذا الصراع في الواحة بين المأمور الوافد إليها من المدينة والذي هو جاهل بأعراف وتقاليد الواحة، وبين أفراد هذه الواحة فمحمود عبد الظاهر جاء إلى الواحة من أجل جمع الضرائب من أهلها وهذا ما أجج الصراع بينه وبين سكان الواحة المنقسمين إلى عشيرتين الغربين في بلدة أغور مي، والشرقيين في بلدة شالي،فقد حدثت مناوشات بين أهل الواحة من أجل دفع الضرائب يبرز هذا في قول الروائي "استمرت دمدمة الغضب من الأجواد وقال الشيخ عبد الماجد من الأجواد الشرقين، عن نفسي أنا لن أسدد شيئا وليفعلوا ما يشاؤون"،[3] يعني هذا أن الانقسام العشائري موجود بقوة في المجتمعات الشرقية،وهو المسيطر على ولاءاتهم وعاداتهم.

محمود وكاثرين بالنسبة لأهل الواحة هم غرباء غير مرغوب فيهما،فهما يمثلان سلطة الاحتلال ويحاولان السيطرة على الواحة،خاصة كاثرين القادمة من بلاد الغرب و الراغبة في

([1])- بهاء طاهر، واحة الغروب المصدر السابق، ص64.

([2])- المصدر نفسه، ص156.

([3])- المصدر نفسه، ص63.

اكتشاف الشرق وأمجاده،فيقع صدام مع أهل الواحة الضانين بأنها تريد السطو على كنوزهم،ويظهر هذا في قول بهاء طاهر "يا شيخ صابر هذه المرأة جاءت ومعها كتب الكفار الأجانب التي تعلم السحر لتكشف كنزنا المخبوء في باطن الأرض".[1] فسكان أهل الواحة متوهمون أن في هذه المعابد الأثرية والمقابر يوجد كنزهم المدفون منذ سنين.

2-3- صراع العادات والتقاليد

يظهر هذا الصراع بين القبيلتين من أجل مليكة المسكينة التي وقعت ضحية التقاليد والعادات الصارمة في الواحة بسبب تمردها على أعراف الواحة فأدى هذا إلى حدوث صراع قوي وورد ذلك في قول الروائي"كان الانقسام قد بدأ وراح شيوخ الشرقيين يرفعون أصواتهم شيئا فشيئا وشيوخ الغربيين يبادلونهم الصراخ وأرغمت نفسي على السكوت حتى لا أزيد النار اشتعالا"،[2] فبهاء طاهر هنا يشير على نحو ساخر إلى انقسام مجتمع مصري عربي إلى شرقي وغربي، وهذا يعني أن الصراع يكون حتى داخل المجتمع الواحد وليس فقط بين الدول والمجتمعات.

اشتد الصراع كذلك بين أهل الواحة وكاثرين، فهم لا يرغبون بها لأنها تكشف عوراتهم وتنتهك حرمة بيوتهم، باعتبارها كافرة وورد ذلك في قول الروائي"هذه المرأة دخلت بيوتنا وكشفت عورات نسائنا في الجمعة الماضية...منذ متى يا شيخ صابر يسمح بتدنيس بيوتنا"،[3] فأهل الواحة محافظين ويرفضون الغرباء وبخاصة إن كانوا قادمين من الغرب حاملين لديانة مختلفة عن ديانتهم.

ويظهر الصراع أيضا من خلال الأعراف، تتمثل في غلق النساء للأبواب بعباءتهن إن أرادوا عدم تدخل الرجال في أمر ما وقد ورد ذلك في قول الروائي "ذهبت إلى بيت أختي حين

([1])- بهاء طاهر، واحة الغروب المصدر السابق، ص63.

([2])- المصدر نفسه، ص69.

([3])- بهاء طاهر، واحة الغروب المصدر السابق، ص64.

سمعت بما حدث كان مزدحما بنسوة غريبات يطرحن عباءتهن أمام الباب حتى لا يدخل رجل، لعل خديجة تعمدت ذلك".[1]

2-4- الصراع الدولي

يظهر هذا بوضوح بين المصرين والانجليز في الحوار الذي دار بين الشيخ صابرو الأجواد عن كاثرين ومحمود،فمحمود من الجنود المصرين حتى وإن هوجم فهو من البلد، لكن كاثرين إن هوجمت فسيحدث صراع بين الشرق والغرب ويبرز هذا في قول بهاء طاهر "ولماذا يأتي هؤلاء الانجليز إلى بلدنا،نحن لم نحاربهم ولا نعرفهم رد الشيخ صابر: لكن زوجة المأمور من الانجليز لو قتلناها فربما يأتيهم جنودهم بدلا من المصرين ليثأروا لها،يجدونها حجة كعادتهم ليأخذوا أرضنا".[2]

أما سكان أهل الواحة فهم يرفضون التعامل مع الأغراب أو التواصل معهم على اعتبار أن كاثرين تمثل الغرب المحتل وذلك في قول الروائي "تمنيت أن تحدث معجزة تكسر الصمت حين ألتقي بالناس وجها لوجه"،[3] ويعني هذا أن الشرق يرفض أية علاقة أو صلة مع الغرب مهما كانت ولا يرغب حتى في ربط أواصر الصداقة بينهما.

2-5- الصراع الجنسي

يظهر هذا الصراع جليا في الرواية، فكاثرين التي أحست بشرخ كبير في حياتها فهي المرأة الغربية المتحررة لم تجد السعادة التي افتقدتها مع زوجها الأول فراحت تبحث عنها عند محمود عبد الظاهر الذي يمثل رمزا لرجولة الشرق،وورد ذلك في قول الروائي"عرفت مع محمود أن ممارسة الحب لحظة خارقة تحلق بها جسدان معا خارج مدار العالم إلى نعيم

(1)- المصدر نفسه، ص180.

(2)- المصدر نفسه، ص68.

(3)- المصدر نفسه، ص94.

يكون جديد في كل مرة"،[1] فقد استطاع بذلك محمود أن يسيطر على كاثرين ويخضعها لإرادته ويكون بذلك قد انتصر للشرق من خلال تغلبه على أنوثة الغرب انتقاما بما قام به هذا الأخير من استعمار للشرق ونهب خيراته واستعباد لشعوبه.

يظهر الصراع أيضا عندما شعر محمود بالعزلة في الواحة فلم يجد إلا كاثرين الوسيلة الوحيدة التي ستنسيه هم هذا البلد الذي أصابه بالعزلة،وورد ذلك في قول بهاء طاهر" فمرة يكون شغوفا بها،لكن سرعان ما يستبد به السأم"؛ [2] أما كاثرين فهي لم تيأس بل راحت تبحث عن ما يطيل ذلك الشغف، فتبذل كل جهدها من أجل إخراج محمود من تلك العزلة لكن دون جدوى،وورد ذلك في قول الروائي"كل محاولاته ومحاولاتي لابتكار متع جديدة فاستقر الأمر على لقاءات غير مدبرة في بعض الليالي"،[3] وهذا يعني أن محمود هو الرجل الشرقي رغم انجذابه لكاثرين التي تمثل الغرب إلا أن محبته لها سطحية ولا يمكن أن تدوم، يظهر ذلك في تفكيره بنعمة السمراء والتي تمثل المرأة الشرقية البعيدة المنال؛فهو لم يستطع التنصل منها بشتى الوسائل،ورغم كل محاولاته في نسيانها وقد ورد ذلك في قول الروائي "ما زالت نعمة تعيد لي حتى الآن الطفل والرجل، الفرحة والندم"،[4] فكأن نعمة هي التي تعيد أواصره وروابطه الشرقية.

لم تكن كاثرين ومحمود شخصيتين أو فردين وإنما كانا عالمين :عالم الرجولة وعالم الأنوثة عالمان متناقضان لا يمكن أن يؤدي التقاءهما و إتحادهما إلى تكامل،وقد ورد ذلك في قول الروائي"لا لم نعد كما كنا وهو أيضا،لم أشعر فيما يفعل أن هناك ذرة من الرغبة الحقيقية أو الاستمتاع بالعشق؛كل ما كان يريده هو الاطمئنان على ذكورته".[5]

([1])– بهاء طاهر، واحة الغروب المصدر السابق، ص26.

([2])– المصدر نفسه، ص80.

([3])– المصدر نفسه، ص80.

([4])– المصدر نفسه، ص85.

([5])– بهاء طاهر، واحة الغروب، المصدر السابق، ص148.

يظهر الصراع أيضا في رفض الغرب للشرق، فكاثرين كانت تتذمر من محمود ومن معاملته لهـــا حتـــى أصـــبحت تكـــره الاقتـــراب منـــه وورد ذلـــك فـــي قـــول الروائـــي"وحين اطمأن عاد يتجنبني فغمرتني الراحة شكرته في أعماقي".[1]

محمود كذالك كان ذلك الشرقي الذي يملك الحق في أن يضاجع من النساء ما يشاء بعد الزواج،لكن على الزوجة أن تخضع لرجل واحد فقط وهو زوجها،وورد ذلك في الحوار الذي دار بينه وبين كاثرين يقول بهاء طاهر "محمود هل تخونني؟فرد على السؤال ؟تقصدين هل أعرف نساء غيرك ؟...نعم انفجرت وجسدي كله ينتفض،هكذا إذا فماذا لو عرفت أنا رجالا غيرك رد ببساطة أقتلك على الفور"،[2] هذا يعني أن محمود كان يمثل هذه الرجولة الشرقية بكل قسوتها وغطرستها،وهذا الصراع نجده كثيرا في الروايات الحضارية مثل (عصفور من الشرق) لتوفيق الحكيم،(موسم الهجرة إلى الشمال) لطيب صالح، (قنديل أم هاشم) ليحي حقي، (الحي اللاتيني) لسهيل إدريس.

3- الصراع السياسي

يعد الصراع السياسي من بيت الصراعات المنتشرة في وقتنا الحالي فهو "ملمح للتفاعلات بين الأفراد والجماعات والدول وذلك يرجع إلى محدودية الموارد،أيا كانت هذه الموارد بسبب اخـتلاف المصـالح و تباينهـا مـن جميـع النـواحي السياسـية والاقتصـادية والاجتماعيـة وغيرها،ونتيجة لذلك الصراع يحدث أن يستفيد البعض ويضار الآخرون".[3] ويظهر هذا الصراع في الرواية جليا وواضحا:

غالبا ما تقوم سياسة الغرب عبر أجهزة استخباراتها بتصفية عملائها الذين تحترق أوراقهم، لأنهم يشكلون عبئا على هذه الأجهزة، ومحمود عبد الظاهر من أولئك الذين تم تصفيتهم

(1)- المصدر نفسه، ص148.

(2)- المصدر نفسه، ص20.

(3)- نجم الدين أربكان، الفكر السياسي لنجم الدين أربكان، مجلة العلوم السياسية والقانون، المركز الديمقراطي العربي، د،ع.

ونفيهم إلى أماكن على شكل ترقية، لأنه خان ثقتهم لتعامله مع الثوار وورد ذلك في قول بهاء طاهر "فوقف فجأة ووقفت أنا أيضا وبدأ يحدثني بلهجة رسمية ستسافر مع قافلة كرداسة لأنها جاهزة للرحيل،ولكني سأرسل مع قافلة مطروح التي تتحرك بعد أسبوعين من الخيول ما يكفي للرحلة وأرجوا أن تصل حية"،[1] وهذا يدل على نوايا مستبطنة وهي نفي محمود عبد الظاهر إلى هذه الواحة للتخلص منه.

محمود عبد الظاهر ذهب إلى الواحة من أجل جمع الضرائب وهو يدرك أن مهمته صعبة خاصة وأن سكان الواحة تعودوا قتل كل من يأتي إليهم من طرف الانجليز،فراح المستر هارفي يحدثه عن الصراع بين العشيرتين وبأنه يجب أن يستغل ذلك الشقاق لصالحه،من أجل السيطرة على سكان الواحة ؛وجذب طرف إليه وقد ورد ذلك في قول الروائي"إن أمكن عن طريق تحالفات معينة مع عشيرة أو أخرى تحويل ذلك إلى وسيلة لضمان السيطرة،هذه مسألة مجربة ومضمونة يشرط ألا يستمر التحالف مع طرف واحد لمدة طويلة".[2]

فالغرب يطبق سياسة فرق تسد،وقد شكلت هذه السياسة عصب الإمبراطورية البريطانية أن القوة والمال ركيزتان أساسيتان لاستمالة الشعوب وقهرها،فمحمود من أجل كسب ود سكان الواحة بعث برسالة إلى النظارة لتخفيض الضرائب كخطوة أولى.

يظهر الصراع السياسي أيضا في توخي الحذر من أجل النجاة وحتى لا يقع في موقف الخائن لسيده وورد ذلك في قول الروائي "اليوزباشي سعيد هو الذي أوحى إلي بهذه الإجابات، هو نفسه لم يدخل أية لجنة تحقيق حماه حرصه الذي جعله يلزم الصمت دائما ويتحرك في حذر وهو يخدم الثوار".[3]

([1])– بهاء طاهر، واحة الغروب، مصدر سابق، ص13.

([2])– المصدر نفسه، ص12.

([3])– بهاء طاهر، واحة الغروب المصدر السابق، ص130.

ووصفي الذي أراد هو الآخر أن يكسب ود أهل الواحة من أجل التعاون معه للإطاحة بمحمود،وذلك بتقديم الهدايا من أجل الحصول على معلومات الكافية عن محمود عبد الظاهر، وقد ورد ذلك في قول الروائي "ثم استأذن اليوزباشي أن يخرج... وعاد وفي يده علبة صغيرة فخاطب الشيخ صابر قائلا :إن والده الحاج همت أدى الفريضة هذا العام وأحضر معه هذه الهدية البسيطة... يرجوا من الشيخ صابر أن يقبل هذه الهدية".[1]

فوصفي هو جاسوس النظارة وعليه أن ينجز مهمته بنجاح ولكي ينجح عليه"الالتزام بأوامر المأمور ؛إلى أن تتخذ النظارة الإجراء المناسب"،[2] فمحمود تعرض للخيانة مرة أخرى وهذا ليس بالغريب من سلطة فاسدة ومحبة لمصالحها الشخصية فقط ؛فهم عملوا المستحيل من أجل إبعاده عن كل المناصب والقضاء عليه نهائيا،محاولين بذلك السيطرة على أهل الواحة وإبقاءها تحت إمرتهم.

4- الصراع التاريخي

هو ذلك الصراع الذي يحدث في حقب تاريخية، ويقوم بين المجتمع أو الدول من نزاعات وحروب،والروائي بهاء طاهر قد بنى معظم روايته واحة الغروب على أحداث تاريخية.

أول حدث تاريخي يظهر من خلال الرواية هو الاسم الأول لمأمور الواحة،وهو بطل روايته والذي استمده من شخصية تاريخية عاشت في أواخر القرن التاسع عشر،يقول بهاء طاهر"الاسم الحقيقي لمأمور واحة سيوة في أواخر سنوات القرن التاسع عشر هو محمود عزمي وإليه ينسب عمل ترك أثرا يقينا في الواحة"،[3] هذا يعني أن أحداث الرواية هي حقيقية ومستمدة من الواقع.

([1])- المصدر نفسه، ص199.

([2])- المصدر نفسه، ص275.

([3])- بهاء طاهر، واحة الغروب المصدر السابق، ص08.

يظهر الصراع التاريخي جليا بداية مع حكايات عصر انقضى ومن بينها الأحداث المرتبطة بثورة عرابي 1882، هذه الإرهاصات المبكرة ظهرت في الصحف المصرية المعارضة التي كانت تحمل أفكارا مناهضة لسياسة الحكام وفي دعوات الأفغاني ومريديه لعالم من الإخوة الأحرار، وقد ورد ذلك في قول الروائي "لكن كلام الشيخ الأفغاني وحماس المريدين حوله في حلقته أرغماني على أن أسمع وأن أهتم... وبعض مؤيديه يعتنقون الماسونية وأن اتباع هذه العقيدة ينتمون لديانات مختلفة".[1]

ارتبط هذا الصراع أيضا بحالات الخيانة للثورة والوطن،وذكر في الرواية أسماء لأشخاص حقيقيين اتصلوا بتلك المرحلة تاريخيا ومنهم"الأمير سيمور الذي دمرت مدافعه أسطوله في الإسكندرية، والجنرال ويلسلي الذي أباد بمساعدة الخونة جيش عرابي في معركة التل الكبير،ويوسف خنفس الذي خان بلده وقاد الانجليز لغدروا به ويفتكوا به ليلا والضابط محمود عبيد الذي ظل رابضا على مدفعه،وعمر باشا لطفي محافظ الإسكندرية أيام الفتنة وناظرا للجهادية بعد الإيقاع بعرابي وإجهاض ثورته"،[2] هذا يعني أن الروائي رصد لنا هذه الخيانات التاريخية التي تحولت فيما بعد إلى صراع تاريخي دام.

هناك تاريخ واحة سيوة ومعلومات عن تاريخها القديم حيث "كانت جزء من مصر الفراعنة ومركزا لعبادة إلههم الأكبر آمون، وسكانها المنحدرين من قبيلة زناتة البربرية،ويتكلمون لهجة من لغة البربر".[3]

يظهر الصراع أيضا في شعور كاثرين بالعار لأنها تحمل جنسية الانجليز ووصفت لمحمود فضائع ارتكبها الانجليز حين غزو إيرلندا، ولم تختلف عنها فيونا التي يتعكر مزاجها دائما

([1])– المصدر نفسه، ص15.

([2])– المصدر نفسه، ص48–55–151.

([3])– بهاء طاهر، واحة الغروب، المصدر السابق ص50.

حين الحديث عن مذابحهم في أيرلندا،ولاسيما في (كونت) مقاطعتها تقول كاثرين "التي استباحوها مرارا".[1]

من المعتقدات التاريخية حسب ما قالت عنها كاثرين أن "الأفق الغربي عند المصرين هو مملكة أزريوس مملكة الموتى وأرض الحساب التي اعتقد المصريون أنها في مكان ما في الصحراء الغربية وبما أن سيوة هي أقصى الغرب من مصر فلعلهم اعتبروها أيضا آخر محطة تغرب فيها الشمس عن الدنيا"،[2] فبهاء طاهر وصف عنوان روايته من تاريخ مصر الفرعوني، فواحة سيوة أطلق عليها واحة الغروب.

يظهر كذالك من خلال الرواية الصراع الأسطوري للإسكندر الأكبر والوقائع التاريخية الواردة عنه في كتب التاريخ مع الأساطير المتعلقة بالآلهة والكهنة من حوله،فقد حمل كلام الإسكندر تاريخا وصفيا لآلهة اليونان وآلهة مصر،ومقارنات بينهم ثم الإشارة إلى استقباله له في مصر بعد هزمه جيوش الفرس،ليشرع في تأسيس مدينة الإسكندرية وانطلاقه من رحلة عبر الصحراء باتجاه سيوة،ذاكرا ما ارتبط بتلك الرحلة من أساطير وصولا إلى معبد آمون الذي اختارته الآلهة فرعون ثاني لمصر، بعد أن حلت في بدنه روح الإله حلولا زاده قوة وجبروتا.

ثم انتقل إلى الشرق غازيا وفاتحا، وحالما يصنع عالم جديد على غير مثال"عالم تتحد فيه أجناس البشر،ويتكلم لغة واحدة هي اليونانية أرض اللغات لغة الإلياذة،وتتزاوج الشعوب بينها فلا يبقى إلا جنس واحد يعمر الأرض...أراد الإسكندر أن يبني عالم لا يكون فيه أشقر أو أسمر،ولا فرق فيه من يعبد زيوس أو نار الفرس أو آلهة الهند"،[3] لكن شعوره بالعظمة حوله إلى طاغية فلا يقبل أن يناقشه أحد،يريد أن يجعل العالم كله رعية له لكن رغم هذا الجبروت

([1])– المصدر نفسه، ص91.

([2])– المصدر نفسه، ص219.

([3])– بهاء طاهر، واحة الغروب المصدر السابق، ص134.

إلا أن لكل طاغية جبار فقد صدقت نبوءات الآلهة حوله في شيء وحيد من جهة نظره "حين أحس بروحه تحوم حول جسده بعد موته مدة أربعين يوما".[1]

محمود عبد الظاهر لاقى نفس مصير الإسكندر فقد التقتا روحهما في هذه الواحة وجمعت بينهما لتصبح الواحة واحة التقاء الأرواح والأديان.

5- الصراع الثقافي

تختلف حياة الشعوب فيما بينها في مذاهبها وعاداتها وتقاليدها وأعرافها،حيث أن كل أمة من الأمم تتميز بشخصياتها الثقافية والحضارية،الخاصة والمتميزة فالعادات والتقاليد والمذاهب التي يتبناها الإنسان تشكل ثقافته التي تتشكل من بيئة إلى أخرى،ومن مكان إلى آخر،وهذا الاختلاف في الثقافة هو عامل للصراع.

من الصراعات الواردة في الرواية نجد تلك الصورة التي وصفت بها كاثرين الطريقة التي أتبعت لعلاج الجندي إبراهيم، بأنه طب بدائي، وجزمت أن"لا علاج له سوى الجراحة والبتر،في حين أسهمت الأعشاب و الزيوت في معالجة إبراهيم"،[2]، لكن كاثرين رضخت في مرحلة لاحقة لفكرة "علاج شقيقتها فيونا بالأعشاب".[3]

يظهر الصراع الثقافي كذلك من خلال المعتقدات الشعبية التي تعتبر جزء من الثقافة،وورد ذلك في الرواية عن مقولة للمهدي السنوسي الذي اتبعوا نهجه وطريقته في الزواج يقول "فيتزاوج الشرقين والغربين ليصبحوا عشيرة واحدة،فتتوقف بينهم الحروب"،[4] فهم يعتقدون بأن بهذه الطريقة سيعم السلام في الواحة ولا يحدث صراع بينهما.

([1])- المصدر نفسه، ص142.

([2])- المصدر نفسه، ص156.

([3])- المصدر نفسه، ص239.

([4])- بهاء طاهر، واحة الغروب المصدر السابق، ص79.

مليكة هي المرأة التي راحت ضحية هذا المعتقد الشعبي بزواجها من معبد الكهل الشرقي وهذا ما جعلها تفر من البيت وتكسر ذلك المعتقد الثابت الذي سنه أهل الواحة ويستمر الصراع بين العشيرتين، يقول خال مليكة "لن ينزع التزاوج تلك البذرة الكامنة في النفوس".[1]

لكن ما حصل كان أكثر من آثار الحروب فتشاء الأقدار أن يموت معبد زوج مليكة وتصير هي (غولة) حسب معتقداتهم ويفرض عليها أن تعيش عقوبتها إلا أن مليكة تتمرد على ذلك، كاثرين ترى أن عقوبة مليكة هي عقوبة مرتبطة بالمرأة لا بالموت،على اعتبار أن هذا المعتقد الشعبي هو جزء من ثقافتهم ولا يمكن الخروج عنه حتى"لا تنتشر في البلد اللعنة على حسب تصورهم".[2]

في هذا يقول الشيخ يحي "كيف تريدون من مليكة أن تفهم عاداتهم التي بلغت أنا من الكبر عتيا فلم أفهمها ؟...هذه يا مليكة مثل نبوءات صابر المشؤومة التي كنت تسخرين منها،أنت لا تفهمين بأي ذنب تسجنين،ولا أنا فهمت هذه الخرافة طول عمري"،[3] هذا يعني أن هذا المعتقد أصبح راسخا لا تتنصل منه أي امرأة.

يظهر الصراع الثقافي أيضا في طمس المواهب وبخاصة إذا كانت من مرأة في هذا البلد.

فمليكة حرمها سكان الواحة من ممارسة نشاطها في صناعة التماثيل،فهم يرفضون أن يكون للمرأة حرية أو موهبة وورد ذلك في قول الشيخ يحي "كنت أراقب في دهشة أناملها الصغيرة وهي منهمكة في تكوير الرؤوس،والسيقان من كرات الصلصال،وأنا أسأل نفسي من أين لها العلم بهذه الصنعة"،[4] هذا يدل على أن الشرق هو رافض لتحرر المرأة خاصة في الأماكن التي تكثر فيها العادات الصارمة، بخلاف الغرب المتحرر الذي لا يجد في تحرر المرأة

([1])– المصدر نفسه، ص79.

([2])– المصدر نفسه، ص188–196.

([3])– المصدر نفسه، ص210.

([4])– بهاء طاهر، واحة الغروب المصدر السابق، ص74

حرجا في ذلك وهذا ما نجده في الرواية عندما كان والد كاثرين يساعدها في أبحاثها لمعرفة الآثار.

6- الصراع الديني

عندما نتحدث عن الصراع الديني فإننا نتحدث عن ذلك العداء بين الشرق والغرب،فالشرق كاره للغرب والغرب يبادله الشعور ذاته.

رواية واحة الغروب تصور ذلك الصراع من خلال البطل محمود عبد الظاهر الذي ارتبط بكاثرين "بدا الشيخ الذي عقد قراننا في القاهرة تعيسا وهو يرى رجلا مسلما،وضابط محترما يتزوج امرأة أجنبية من غبر دينه".[1]

هذا يعني أن الشرق كاره للغرب ولديانته ورافضا لهذا الارتباط،ونفس الشيء بالنسبة للأجانب فعندما ذهب محمود لتسجيل الزواج في القنصلية تعاملوا بوقاحة معه فردوا على كاثرين "تتزوجين مصريا وتتزوجينه أيضا حسب ديانتهم".[2]

هذا يعني أيضا تذمر الانجليز من زواج كاثرين من محمود لاستصغارهم الرجل الشرقي.

يظهر الصراع أيضا في شخصية محمود عبد الظاهر فمن جهة هو موله بعادات الغرب ولا يتنازل عنها،رغم أنها محرمة عليه،فنجده مرة يشرب الخمر ؛ويعاشر النساء والجواري، يقول الروائي "أعرف النساء وأعاشر الجواري، وأقضي الليالي مع الصحاب نتنقل بين المقاهي والحانات"،[3] ومرة نجده يؤدي الصلاة ويرتل القرآن يقول الروائي "في يوم الجمعة أذهب مع أبي وسليمان مبكرين لصلاة الجمعة في المسجد"،[4] هذا بعني أن محمود مناقضا في

([1])- المصدر نفسه، ص18.

([2])- المصدر نفسه، ص197.

([3])- بهاء طاهر، واحة الغروب المصدر السابق، ص14.

([4])- المصدر نفسه، ص15.

شخصيته فمرة نجده متبعا للدين الإسلامي؛ ومرة نجده مولعا بتقليد الغرب ومقارعة الخمر، فهو غير قادر على الصمود أمام عادات الغرب.

يبدوا الصراع أيضا في رفض الشرقي لحضارة المغرب واعتبارهم كفارا وورد ذلك من خلال الرواية في قول كاثرين "أشرت إلى صورة بديعة التكوين للإلهة إزيس ملونة بالأزرق والأحمر وسألته بأبسط عربية ممكنة كويس؟ اكفهر وجهه وهو ينتزع يده من يدي ثم بصق على الصورة وهو يقول في غضب كفار واستدار مسرعا"،[1] ؛هذا يعني أنه اغتاظ لأن كاثرين أعجبتها صورة آلهة وثنية والإسلام يحرم التصوير.

خلاصة القول أن الصراع في رواية واحة الغروب يعد العصب المحرك لها،فإذا توقفنا عند شخصية البطل وجدناها تعيش صراعا نفسيا حادا،ويشتد اضطرابها بتطور الأحداث وحين نتخلص الشخصية من صراعها النفسي يحملها الروائي مسؤولية أخرى بإقحامها في صراع اجتماعي فولد عن طريق الظلم،وصراع سياسي ضد النظام،ثم تتوالى الصراعات التاريخية والثقافية والدينية.

(1)- المصدر نفسه، ص98

خاتمة

توصلنا في هذه الدراسة إلى مجموعة من النتائج يمكن إجمالها فيما يأتي:

المدخل:

بينت هذه الدراسة أن صراع الحضارات أمر ليس بالجديد في تاريخ البشرية فهو أحد أنواع الصراعات التي وجدت لتبقى، لما تحمله النفس من النزعة إلى التفوق والسيطرة على الآخر.

من المنظرين لهذا المصطلح صاموئيل هنتغتون الذي حاول أن يرصد الصراعات الموجودة في العالم، وهيمنة الغرب ونفي الآخر.

. **الفصل الأول**

ـ تبين بعد تناول الموضوع أن مصطلحي الشرق والغرب كيانان متخيلان يتملصان من التعريف العلمي الدقيق إلا ما اصطلح عليه السياسيون والاستعماريون من تقسيم العالم كما أنهما يتوسعان وينحصران من عصر إلى آخر، تبعا لتحديات إيديولوجية وثقافية.

ـ طبيعة العلاقات التاريخية والثقافية بين الشرق والغرب كانت تربطها فترات صدام وفترات لقاء،تمثل اللقاء الأول في عنف التاريخ في تلك الحروب الطويلة المتمثلة في الحروب الصليبية والظاهرة الاستعمارية والحركات التحررية.

. اتضح لنا من خلال تتبع المعرفة الاستعمارية أن الاستشراق الذي نعتبره اتصالا فكريا بين الشرق والغرب من جهة واحدة مثل أكبر مؤسسة عملت على إعادة خلق جديد للآخر.ولد هذا الاستشراق كثيرا من الصور النمطية التبخيسية، حيث يظهر الشرقيون والعرب سذجا غافلين محرومين من الحيوية والقدرة والمبادرة.

بين البحث أن الحملة الفرنسية على مصر 1798 هي مواجهة ثقافية أكثر منها عسكرية وحربية، كانت بمثابة صدمة الحداثة.

التثاقف بين شعوب الشرق وشعوب الغرب بدأ قديما ولا يزال إلى يومنا هذا،وهذه المثاقفة تقوى وتضعف تارة عند غالب وتارة عند مغلوب.

العولمة قناة هامة لم يسبق لها مثيل في تاريخ العلاقات العالمية باعتبارها فضاء مفتوح للتلاقي.

بين لنا البحث أن البداية الحقيقية للرواية لم تتحقق إلا مع صدمة الحداثة التي استوجبت ثنائية الأنا والآخر،وأن هذه الجدلية كانت ترد في النصوص السردية إما في مظهر إيجابي قائم على الانبهار بالحضارة الغربية أو سلبي قائم على العدوان والصراع.

بين لنا البحث أن مبدأ حوار الحضارات ضروري،وأن التسامح هو الوسيلة لتحقيق حصول الإنسان على حقوقه والعيش برفاه اجتماعي.

الفصل الثاني:

بينت هذه الدراسة أن بهاء طاهر ركز على الزمن الماضي التاريخي،لكنه سرعان ما استخدم الزمن النفسي الذي اختلط بالحاضر والمستقبل،ولم يستطع الفكاك من سيطرته، لأن كل ما في المجتمع سلبي ولأن الفكاك يأتي عنده بالتخلص من سلبيات الماضي.

الاعتماد على مخزون الذاكرة،والعودة بالسرد إلى الوراء فوردت معظم الأحداث من الذاكرة وارتباطها بأحداث من الواقع؛ وهو ما أدى إلى بروز التداعي في الأفكار والاعتماد على السوابق واللواحق.

أما عن الشخصيات فقد وظف الكاتب الوصف كتقنية مساعدة لكشف الجوانب الخفية للشخصية من خلال السارد أو استبطان القارئ لهذه المواصفات،لم تتدرج الشخصية الروائية في قص بهاء طاهر في مستوى واحد بسبب انفتاح النص على المجتمع بفئاته كافة،لذلك نجد فيها تنوعا في الشخصيات من مثقفين ومناضلين وفدائيين وخائنين والمستعمرين في شكل ثنائيات.

خلصت الرواية إلى جملة من الصراعات نذكر منها: الصراع النفسي الذي يعد ظاهرة من أبعاد حياة الإنسان الميتافيزيقية والنفسية، أما الاجتماعي فهو ذلك الصراع الذي يحدث بين

الأفراد والجماعات،حيث يسعى كل طرف للقضاء على الآخر وتدميره،من أجل تحقيق أهدافه وغاياته،وكذالك السياسي الذي يتخذ من الدسائس والمؤامرات مخرجا لنيل ما يرغب فيه، والتاريخي الذي يسعى لتشويه التاريخ ومحاولة النيل منه ودحضه، والثقافي الذي هو نوع من أنواع الصراع الذي يحدث عندما تتعارض القيم والعقائد المختلفة وهو فكر ذاتي ينفي الآخر ويميل إلى العنف.

الصراع الديني الذي يحدث بين المجتمعات نتيجة اختلاف الديانات وعدم تقبل كل طرف ديانة الآخر والسعي إلى نشر الفوضى، وهذا ما يحدث في العالم الآن في محاربة الغرب للشرق، وعدم تقبل الديانة الإسلامية التي أصبحت هاجسا لهم.

نستنتج في الأخير أن الرسالة الإنسانية العميقة التي يرد الكاتب أن يوصلها إلينا من خلال روايته الجميلة واحة الغروب ؛هي نبذ الخيانة والجبن، والكراهية والأخذ بالثأر، وفي المقابل بالاحتماء بالهوية والموروث الثقافي الإيجابي، والسعي الحثيث للقضاء على آثر الهزائم المتكررة وتجاوزها وبالجد و العمل والأخذ بأسباب التقدم الحضاري حتى نكون جديرين بما خلفه لنا أجدادنا في غابر الزمان ومازال مفخرة للإنسان ولإرادته القوية من أجل بناء الحضارة الإنسانية في كل عصر.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

الحديث النبوي.

المصادر:

1- بهاء طاهر: واحة الغروب، دار الشروق القاهرة، مصر، ط1، 2008.

2- توفيق الحكيم، عصفور من الشرق، دار مصر للطباعة، القاهرة، د ط، 1988.

3- حنامينا، رحلة الربيع والخريف، الدار المصرية اللبنانية، ط1، 1988.

4- رفاعة الطهطاوي، تلخيص الإبريز في تلخيص باريس، القاهرة، ط1، 1943.

5- سليمان فياض، أصوات، أصوات: ط1، 1970.

6- سهيل إدريس، الحي اللاتيني، دار العلم للملاين، بيروت، ط1، 1843.

7- طه حسين، أديب، دار المعارف، القاهرة، د ط، د س.

8- طه حسين، الأيام، دار المعارف، القاهرة، الجزء1، ط23، 1976.

9- الطيب صالح، موسم الهجرة إلى الشمال، دارا الآداب، بيروت، ط1، 1976.

10- عبد الرحمن منيف، شرق المتوسط، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1981.

11- عبد الرحمن محمد بن خلدون:مقدمة ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر، ضبط وشرح و تقديم محمد الإسكنداني، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 2008.

12- عبد المجيد بن جلول، في الطفولة، دار النشر المعرفة، الرباط، ط1، 2005.

13- فدوى طوفان، الرحلة الأصعب، دار الشرق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1993.

14- محمد عبد يماني، فتاه من هيل، جدة تهامة، السعودية، ط1، 1980.

15- مصطفى شعبان، أمواج البحر، مطبعة ظريفة، بركان، المغرب، ط1، 1988.

المراجع:

16- إبراهيم محمود عبد الباقي،الخطاب العربي المعاصر، عوامل البناء الحضاري في الكتابات العربية، المعهد العالي للفكر الإسلامي، هرفدن، فرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، ط1، 2008.

17- أحمد الشيخ، من نقد الإستشراق إلى نقد الاستغراب، حوار الإستشراق، المركز العربي للدراسات العربية، القاهرة، د ط، 1999.

18- إدريس هاني، حوار الحضارات بين أنشودة المثاقفة وصراحة الهامش، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2002.

19- أديب الخالدي، المرجع في الصحة النفسية، نظرة جديدة، دار وائل للنشر، عمان، ط1، 2009.

20- أمل نصر، جماليات الفنون الشرفية وآثارها على الفنون الغربية، سلسلة آفاق الفن التشكيلي، القاهرة، ط1، 2007.

21- أنور الجندي، العالم الإسلامي والاستعمار السياسي الاجتماعي، دار الكتب المصرية، القاهرة، د ط، د س.

22- حسن عبد الحميد رشوان، الأسرة والمجتمع، دراسة علم اجتماع الأسرة، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر، ط1، 2003.

23- حسين عليان،العرب والغرب في الرواية العربية، دار مجدلاوي للنشر، عمان، ط1، 2004.

24- حسن حنفي، وصادق جلال العظم، ما العولمة؟ دار الفكر، دمشق، ط2، 2000.

25-جورج طرابيشي، شرق وغرب رجولة وأنوثة، دراسة في أزمة الجنس والحضارة في الرواية العربية، دار الطليعة، بيروت، ط1، 1977.

26- الزهرة بالحاج، الغرب في فكرة هشام شرابي، دار الفارابي، بيروت، ط1، 2004.

27- سالم يعقوب، حضريات الاستشراق، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، ط1، 1989.

28- سعيد عبد الفتاح عاشور، تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب، في العصور الوسطى، دار النهضة العربية، بيروت، د ط، 1972.

29- سليمان الخطيب، أسس مفهوم الحضارة في الإسلام، الزهراء الإعلام العربي، القاهرة، ط1، 1986.

30- شريط أحمد شريط، تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة، اتحاد الكتاب العرب، ط1، 1998.

31- عبد الرحمن الجبرتي، عجائب الآثار والتراجم والأخبار،تحقيق وشرح محمد جوهر وآخرون، مطبعة لجان البيان العربي، القاهرة، ج2، ط1، 1959.

32- عبد المحسن طه بدر، تطور الرواية العربية الحديثة (1970،1938)، سلسلة الذرابيات الأدبية، دار المعارف، القاهرة، ط4، 1994.

33- محمد الحسناوي، في الأدب والحضارة، دار عمار، عمان المكتب الإسلامي، بيروت، ط1، 1985.

34- محمد راتب الحلان، نحن و الآخر، دراسة بعد المتداولة في الفكر العربي الحديث المعاصر، منشورات اتحاد كتاب العرب، سوريا، د ط، 1997.

35- محمد رفعت، الآخر بين الرواية والشاشة، دار المعارف، القاهرة، ط1، 2010.

36- محمد عابد الجبرتي، قضايا في الفكر المعاصر ،مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 1997.

37- محمد فاروق النبهان، الإستشراق (تعريفه، مدارسة آثاره)، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، ط1، 2012.

38- ناصر الدين الألباني، أحباب البيوع، المكتب الإسلامي، بيروت، ط1، 1992.

39- يوسف بكار وخليل الشيخ، الأدب المقارن، الشركة العربية المتحدة للتسويق والتوريدات، ط1، 2009.

المراجع المترجمة بالعربية

40- إدوارد سعيد، الثقافة والإمبريالية، ترجمة كمال أبو ديب، دار الآداب، بيروت، ط3، 2004.

41- إدوارد سعيد، الإستشراق (السلطة، المعرفة، الإنشاء)، ترجمة، كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، ط1، 1981.

42- ريموند آرون، صراع الطبقات، ترجمة عبد الحميد كاتب، منشورات عويدات، د ط، 1965.

43- صموئيل هنغتون، صدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي، ترجمة مالك عبيد أبو شهيرة ومحمد خلف مصراتة، دار الجماهرية للنشر والتوزيع، ط1، 1993.

44- صموئيل هنتغتون، الإسلام والغرب، آفاق الصدام، ترجمة مجدي شرشر، مكتبة مدبولي، ط1، 1995.

45- فرانسيس فوكوياما، نهاية التاريخ خاتم البشر، ترجمة حسين أحمد أمين،مركز الأهرام للترجمة والنشر،القاهرة،ط1، 1988.

46- مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، ترجمة بسام بركة، دار الفكر، سوريا، ط1، 1988.

47- يحي مراد،افتراءات المستشرقين و الرد عليها،منشورات الكتب العلمية،بيروت،ط1، 2004.

القواميس والمعاجم والموسوعات:

48- إبراهيم أنيس ورفقائه، المعجم الوسط، مادة صرع، سنة 1972.

49- جرائد برنس، قاموس السرديات، تر: سيد إمام، مرين، للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، د س.

50- جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار اللبناني، بيروت، ج1، 1975.

51- سعد زروق، موسوعة علم النفس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، د ط، 1979.

52- عبد المنعم الحنفي، المعجم الشامل، المصطلحات الفلسفية، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، ط3، 2000.

53- محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، دار الجيل، دار لسان العرب، بيروت، طبعة يوسف الخياط، المجلد3، د ط، 1988.

54-محمد شفيق غربال، الموسوعة العربية الميسر، مجلد2، د ط،1995.

55-axford basic,dictionary.

المجلات والصحف:

56- أحمد شفيق، الإسلام والآخر، جريدة النور الإسلامية، د ط، د س.

57- رضوان السيد، ثقافة الإستشراق ومصائره، مجلة الفكر العربي، د ط 1993.

58- صلاح الدين البستاني، صحف بونابرت، د.ع، (1798-1806).

59- علاء عبد الهادي، شعرية الهوية (نقض فكرة الأمل، الأنا بوصفها أنا الأخرى، مجلة عالم الفكر، عدد1، مج36، الكويت، 2007.

60- محمد عابد الجابري، الغرب وإسلامية، مجلة العربي، عدد503، الكويت، 2000.

61- نص جولي، حوار الحضارات المبادئ م الأهداف، مجلة آفاق الحضارة الإسلامية، شمار،ع15، 2010.

62- نجم الدين أربكان، الفكر السياسي لنجم الدين أربكان، مجلة العلوم والقانون، المركز الديمقراطي العربي، د ع، د س.

الرسائل الجامعية

63- بوجمعة الوالي، الصراع الحضاري في الرواية العربية، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في الأدب العربي، إشراق واسيني الأعرج، جامعة الجزائر، 1993.

64- جمال مباركي، الغرب في الرواية العربية الحديثة، بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في الأدب العربي الحديث، جامعة العقيد الحاج لخضر باتنة، الجزائر، 2008-2009.

65- شلبي هجيرة، إشكالية العلاقة بين الحضارات -زكي الميلاد نموذجا، مذكرة لنيل درجة الماجستير في فلسفة الحضارة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة باتنة، 2012-2013.

66- سمراء قفي، البنية السردية في رواية عائد إلى حيفا لغسان كنفاني، مذكرة لنيل شهادة الماستر، إشراف، ناصر بركة، تخصص أدب حديث، جامعة محمد بوضياف، المسيلة 9152146.

المراجع الأجنبية:

67--Arold toynbee,l'histoire ,Edition Bordas,Biologique ,1985.

68- Oxford Basic, english dictionary,nerv ,3rd edition,universitty press.

عن مذكرة شلبي هجيرة، اشكالية العلاقة بين الحضارات،مذكرة لنيل درجة الماجستير،.

69- le petit lorousse illustré,paris,laosse.

70- antony,jckear,the,crusactes,first pubisher ,Newyork,1966.

مواقع إلكترونية:

71-htlp//.ar,wikipedia.org,2016/03(22 :08).

72-www,maber.org,2016/12/30 ;(20 :15).

فهرس الموضوعات

العنوان	الصفحة
مقدمة	أ
مدخل: مفهوم صراع الحضارات	
مفهوم صراع الحضارات	05
نشأة صراع الحضارات	12
خصائص الحضارة العالمية	15
الفصل الأول: العلاقة بين الشرق والغرب	
المبحث الأول: لمحة عن مصطلحي الشرق والغرب أو الأنا والآخر	21
المبحث الثاني: طبيعة العلاقات التاريخية والثقافية بين الشرق والغرب	23
المبحث الثالث: رؤى الأنا والآخر في الرواية العربية	34
المبحث الرابع: ضرورة الحوار بين الحضارات	42
الفصل الثاني: رواية واحة الغروب لبهاء طاهر وتشكلات الصراع فيها	
المبحث الأول: دراسة لتقنيات الرواية	45
1- موضوع الرواية	45
2- الشخصيات	45
3- الأحداث	51
المبحث الثاني: الصراع في الرواية	54
1- الصراع النفسي	54
2- الصراع الاجتماعي	57
3- الصراع السياسي	62
4- الصراع التاريخي	64
5- الصراع الثقافي	67

6- الصراع الديني	69
خاتمة	72
قائمة المصادر والمراجع	76
فهرس الموضوعات	84

ملخص البحث

هدفت الدراسة إلى تتبع صراع الحضارات رواية واحة الغروب لبهاء طاهر أنموذجا، وقد تم تقسيم الدراسة إلى مدخلا وفصلين تناولنا في المدخل: تعريف الصراع لغة واصطلاحا والحضارة لغة واصطلاحا، نشأة صراع الحضارات ونظرية صراع الحضارات عند هنتغتون ومنطلقاتها، أما الفصل الأول قسم نظري تناولنا فيه أربعة مباحث، تحدثنا في المبحث الأول عن لمحة عن مصطلحي الشرق والغرب أو الأنا والآخر، أما المبحث الثاني تناولنا فيه العلاقات التاريخية والثقافية بين الشرق والغرب والمبحث الثالث عن رؤى الأنا والآخر في الرواية العربية، والمبحث الرابع تحدثنا عن ضرورة حوار الحضارات.الفصل الثاني تطبيقي درسنا فيه مبحثان المبحث الأول فقدمنا دراسة في تقنيات رواية واحة الغروب تحدثنا عن الشخصيات والأحداث أما المبحث الثاني فكان عن الصراع الموجود في رواية واحة الغروب وأنواعه، وأخيرا قدمت الدراسة أهم النتائج المتوصل إليها وأتبعناها بقائمة المصادر والمراجع وفهرسا للموضوعات.

Résumé:

Le but de L'étude est de mettre l'accent sur une succession des faits sur le conflit des civilisateurs émanant du récit « L'oasis du crépuscule» qui est présenté comme modèle.

L'étude est divisée en trois parties :

-la première est transitoire consacrée à la définition du conflit de la langue et du vocabulaire, par rapport au vocabulaire, l'origine du conflit des civilisations et la théorie du conflit civilisionnel émises par Huntington et ses principes fondamentaux.

La première partie est théorique, dans laquelle nous avons traité quatre thèmes.

-dans le premier thème nous avons défini brièvement les termes Est-Ouest (orient- Occident) ou le moi et l'autre.

-Quant au deuxième thème, il traite sur la question des relations historiques et culturelles entre l'orient et l'occident.

-le troisième thème est accès sur les visions émises dans le récit du moi et de l'autre.

-enfin dans le quatrième thème nous avons mis l'accent sur la nécessite du débat civilisationnel.

La deuxième partie est pratique comprenant deux thèmes:

Le premier thème est consacré à l'étude de certaines technique employées dans l'élaboration de l'œuvre de Baha Tahar «l'oasis du crépuscule» où il est question de personnalités et de faits marquants.

-Quant au deuxième thème, il met le point sur les conflits cités dans le récit « l'oasis du crépuscule».

Enfin l'étude a fait surgir les principaux faits tant attendus que nous avons fait suivre par une bibliographie et un sommaire dans lequel nous avons incéré les différents chapitres de l'étude.